تفسير سورة «نٓ وَالْقَلَمِ»

مَكِيَّةٌ في قول الحسن وعكرمةَ وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: من أوّلها إلى قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [الآية:١٦] مكيّ. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية:٣٣] مدنيّ. ومن بعد ذلك إلى قوله: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [الآية:٤٧] مكيّ. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية:٥٠] مدنيّ، وما بقي مكيّ. قاله الماورديّ[١].

وهي ثنتان وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ أدغم النونَ الثانية في هجائها في الواو أبو بكر والمفضَّلُ وهُبَيرةُ ووَرْشٌ وابن مُحَيْصِن وابنُ عامر والكسائيُّ ويعقوب. والباقون بالإظهار[٢].

وقرأ عيسى بن عمر بفتحها، كأنَّه أضمر فعلاً[٣]. وقرأ ابن عباس ونصر وابنُ أبي إسحاقَ بكسرها على إضمار حرف القسم[٤].

وقرأ هارون ومحمد بن السَّمَيْفَع بضمها على البناء[٥].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٩ ، دون ذكر قتادة.

(٢) السبعة ص٥٣٨، والتيسير ص ١٨٣، والنشر ٢/ ١٨ . ولورش الوجهان.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥ .

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ .

(٥) ذكر القراءة ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٢٦ عن الحسن وأبي عمران وأبي نهيك.

واختلِف في تأويله، فَرَوَى معاوية بن قُرّة عن أبيه يرفعه إلى النبيّ ﷺ أنه قال: «ن لَوْحٌ من نور»(١). ورَوَى ثابت البُنانيّ أنَّ «نَ» الدواة(٢). وقاله الحسن وقتادة(٣).

وروى الوليد بن مسلم قال: حدّثنا مالك بن أنس، عن سُمَيّ مولى أبي بكر، عن أبي صالح السّمان، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أولُ ما خلق الله القلمُ، ثمَّ خلق النُّون ـ وهي الدواة ـ وذلك قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾، ثمَّ قال له: اكتبْ، قال: وما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة من عمل أو أجلٍ أو رزقٍ أو أثَر، فجرى القلمُ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ـ قال ـ ثم خُتم فَمُ القلم، فلم ينطقْ ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل فقال الجبّار: ما خلَقت خلقاً أعجبَ إليّ منك، وعِزّتي وجلالي لأكَمّلنّك فيمن أحببت، ولأنقصنّك فيمن أبغضت» قال: ثم قال رسولُ الله ﷺ: «أكملُ الناس عقلاً أطوعُهم لله وأعملُهم بطاعته»(٤).

وعن مجاهد قال: «ن» الحوتُ الذي تحت الأرض السابعة. قال: «وَالْقَلَم» الذي كُتب به الذِّكر. وكذا قال مقاتل ومُرّة الهَمْدانيّ وعطاء الخراساني والسُّدّي والكَلْبي: إنَّ النون هو الحوت الذي عليه الأرضون(٥).

وروى أبو ظَبيان عن ابن عباس قال: أوّلُ ما خلق الله القلمُ فجرى بما هو كائنٌ،

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٠ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٤ ، وعزاه ابن كثير في تفسيره لهذه الآية للطبري، ثم قال: وهذا مرسل غريب.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٣ وفيه: عن ثابت الثمالي، عن ابن عباس.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٢ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٣ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٣ ، والأثر أخرجه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٢٧٢ - ٢٢٧٣ وقال: وهذا بهذا الإسناد باطل منكر، وقال الذهبي في الميزان ٤/ ٦١: فصدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل. اهـ. والصحيح ما أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥) عن عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعاً: «إن أول ما خلق الله القلمُ، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» وسيرد.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ١٤١-١٤٢، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٤، وهذه الأخبار من الإسرائيليات .

ثمَّ رفع بخار الماء فخلق منه السماء، ثم خلق النُّونَ، فبسط الأرض على ظهره، فمادت الأرضُ فأُثْبِتَت بالجبال، وإنَّ الجبالَ لتَفْخَرُ على الأرض. ثم قرأ ابن عباس: «ن وَالْقَلَمِ» الآية. وقال الكَلْبي ومقاتل: اسمه البَهْمُوت[١]. قال الراجز:

مـالـي أراكُـم كـلّـكـم سـكـوتَـا والـلـه رَبِّـي خـلـق الـبَـهْـمُـوتَـا[٢]

وقال أبو اليقظان والواقدي: ليوثا[٣]. وقال كعب: لوثوثا. وقال: بلهموثا[٤].

قال كعب: إنَّ إبليسَ تغلغلَ إلى الحوت الذي على ظهره الأرضون، فوسوس في قلبه وقال: أتدري ما على ظهركَ يا لوثوثا من الدَّوابِّ والشجر والأرضين وغيرها، لو لفظتَهم ألقيتَهم عن ظهرك أجمع؛ فهمّ ليوثا أن يفعلَ ذلك، فبعث الله إليه دابَّةً فدخلت مِنْخَرَه ووصلت إلى دماغه، فضجّ[٥] الحوتُ إلى الله عزَّ وجلَّ منها، فأذن الله لها فخرجت. قال كعب: فو الله إنَّه لينظُرُ إليها وتنظر إليه، إن همَّ بشيء من ذلك عادت كما كانت[٦].

وقال الضحاك عن ابن عباس: إنَّ «ن» آخرُ حرف[٧] من حروف الرحمن. قال: الر، وحم، ون، الرحمن تعالى مقطعة[٨].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٤ ، وقيّده الآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٢٣ : اليَهْموت؛ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء. وأثر ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٨ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٠ ، وسلف ١/ ٣٨٥ .

(٢) لم نقف عليه.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٣٧٤ عن الواقدي.

(٤) اضطرب اسمه في النسخ والمصادر.

(٥) كذا في النسخ، والذي في المصادر ـ الآتية ـ (فعجّ). والعج: رفع الصوت بالتلبية. النهاية (عجج).

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٥ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٨ ، وهو خبر إسرائيلي باطل، وسلف ١/ ٣٨٥ .

(٧) في (م) حروف.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٦٠ ، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٣ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٧٥ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ١٤٢ عن ابن عباس من رواية عكرمة عنه.

وقال ابن زيد: هو قسمٌ أقسم الله تعالى به[١]. وقال ابن كَيْسان: هو فاتحةُ السورة[٢]. وقيل: اسمُ السورة[٣]. وقال عطاء وأبو العالية: هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر. وقال محمد بن كعب: أقسم الله تعالى بنصره للمؤمنين؛ وهو حقّ[٤]. بيانه قولُه تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وقال جعفر الصادق: هو نهرٌ من أنهار الجنة يقال له نون[٥]. وقيل: هو المعروفُ من حروف المعجم[٦]؛ لأنَّه لو كان غيرَ ذلك لكان مُعْرَباً؛ وهو اختيار القُشَيْريّ أبو نصر عبد الرحيم في تفسيره. قال: لأنَّ «ن» حرف لم يُعْرَب، فلو كان كلمة تامَّة أعرِب كما أعرب القلم، فهو إذاً حرفُ هجاء كما في سائر مفاتيح السور. وعلى هذا قيل: هو اسم السورة، أي: هذه سورة «ن». ثم قال: «وَالْقَلَمِ» أقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان؛ وهو واقعٌ على كل قلم مما يَكتب به مَن في السماء ومَن في الأرض، ومنه قول أبي الفتح البُسْتيّ:

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم ... وعَدُّوه مما يُكسِبُ المجدَ والكَرَمْ
كَفَى قَلَمُ الكُتَّابِ عِزّاً ورِفعةً ... مَدَى الدهرِ أنَّ الله أقسم بالقَلَمْ[٧]

وللشعراء في تفضيل القلم على السيف أبيات كثيرة، ما ذكرناه أعلاها. وقال ابن عباس: هذا قسم بالقلم الذي خلقه الله، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة.

قال: وهو قلم من نورٍ، طولُه كما بين السماء والأرض. ويقال. خلق الله القلم،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٤ .
(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ دون نسبة.
(٣) النكت والعيون ٦/ ٦٠ .
(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .
(٥) زاد المسير ٨/ ٣٢٧ .
(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٠ .
(٧) البيتان في زهر الآداب للقيرواني ١/ ٤٣٢ . وفيه (مجداً) بدل (عزّاً). وأبو الفتح هو علي بن محمد البستي الكاتب، شاعر زمانه، مات سنة إحدى وأربع مائة. السير ١٧/ ١٤٧ - ١٤٨ .

ثم نظر إليه فانشق نصفين، فقال: اجرِ؛ فقال: يا ربّ، بِمَ أجري؟ قال: بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فجرى على اللوح المحفوظ(١). وقال الوليد بن عُبادة بنِ الصامت: أوصاني أبي عند موته فقال: يا بُنَيّ، اتقِ الله، واعلمْ أنَّك لن تتقيَ ولن تبلغ العلمَ حتى تؤمنَ بالله وحدَه، والقدرِ خيره وشرّه، سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتبْ، فقال: يا ربّ وما أكتب، فقال: اكتبْ القدرَ، فجرى القلمُ في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد»(٢). وقال ابن عباس: أوّلُ ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن، فكتب فيما كتب: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾(٣) [المسد: ١]. وقال قتادة: القلم نعمةٌ من الله تعالى على عباده(٤).

قال غيره: فخلق الله القلم الأوّل، فكتب ما يكون في الذكر، ووضعه عنده فوق عرشه، ثم خلق القلم الثاني ليكتب به في الأرض، على ما يأتي بيانه في سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾(٥) [العلق: ١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ أي: وما يكتبون. يريد الملائكة؛ يكتبون أعمال بني آدم قاله ابن عباس(٦). وقيل: وما يكتبون، [أي:] الناس، وما يتفاهمون به.

وقال ابن عباس: معنى «وَمَا يَسطُرونَ» وما يعلمون(٧).

و«ما» موصولة أو مصدرية؛ أي: ومسطوراتِهم أو: وسطرِهم، ويراد به كلُّ من يسطر، أو الحفظة، على الخلاف(٨).

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٢) أخرجه بطوله الطيالسي في مسنده (٥٧٧)، وأخرجه بنحوه أحمد (٢٢٧٠٥)، والترمذي (٢١٥٥) وقال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٤/ ٢٠٥ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٢٧ ، وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٣ وفيه (ليعلم به من في الأرض) بدل (ليكتب به في الأرض).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٨ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٨ ، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٦٠ .

(٨) الكشاف ٤/ ١٤١ .

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ هذا جواب القسم وهو نفي.

وكان المشركون يقولون للنبيّ ﷺ: إنَّه مجنون، به شيطان. وهو قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر: ٦]، فأنزل الله تعالى ردّاً عليهم وتكذيباً لقولهم: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ أي: برحمة ربك. والنعمةُ هاهنا الرحمة. ويحتمل ثانياً: أنَّ النعمةَ هاهنا قَسَم، وتقديره: ما أنت ونعمةِ ربك بمجنون؛ لأنَّ الواو والباء من حروف القسم[(١)].

وقيل: هو كما تقول: ما أنت بمجنون، والحمد لله. وقيل: معناه ما أنت بمجنون، والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك؛ أي: والحمد لله[(٢)]. ومنه قول لبِيد:

وأفردْتُ في الدنيا بفقدِ عشيرتي وفارَقَني جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ[(٣)]

أي: وهو أربد. وقال النابغة:

لم يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذاء وأُمُّهم طَفَحتْ عليك بناتقٍ مِذْكارِ[(٤)]

أي: هو ناتق.

والباء في «بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» متعلقة «بمجنون» منفياً، كما يتعلق بغافل مثبتاً. كما في قولك: أنت بنعمة ربك غافل. ومحله النصب على الحال؛ كأنَّه قال: ما أنت بمجنون مُنْعَماً عليك بذلك. ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾ أي: ثواباً على ما تحملت من أثقال النبوّة.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦١ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ وفيه (والحمد لك) بدل (والحمد لله).

(٣) ديوان لبيد ص٨٨ في قصيدة يرثي أخاه أربد، وروايته «وقد كنت في أكنافِ جارِ مَضِنَّة... ففارقني... والبيت أيضاً في الأغاني ١٧/ ٦٣ وفيه (دار) بدل (جار)...، والمضنة: بكسر الضاد وفتحها؛ أي: نفيس مما يضن به. الصحاح (ضنن).

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٦١ ، والبيت أيضاً في المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥١٠ وفيه: دحقت بدل: طفحت. قال ابن قتيبة: ويروى: طفحت عليك، أي: اتسعت، أي: غذوا غذاء حسناً فنموا وكثروا، والناتق: الكثيرة الولد، ومذكار: تلد الذكور.

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرَ مقطوع ولا منقوص؛ يقال: مننتُ الحبل: إذا قطعتَه[١]. وحبل منين: إذا كان غير متين. قال الشاعر:

غُبْساً كواسِبُ لا يُمَنّ طعامُها[٢]

أي: لا يقطع.

وقال مجاهد: «غَيْرَ مَمْنُونٍ»: غير محسوب[٣]. الحسن: «غَيْرَ مَمْنُونٍ»: غيرَ مكدّر بالمَنّ[٤].

الضحّاك: أجراً بغير عمل. وقيل: غيرَ مقدَّر، وهو التفضُّل؛ لأنَّ الجزاء مقدّر، والتفضُّل غيرُ مقدَّر. ذكره الماوَرْدِيّ، وهو معنى قول مجاهد[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: على خُلُقٍ: على دينٍ عظيم من الأديان، ليس دينٌ أحبّ إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه[٦]. وفي صحيح مسلم عن عائشة: أنَّ خُلُقه كان القرآن[٧]. وقال عليٌّ ﷺ وعَطِيّة:

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٧٧ .

(٢) هذا عجز بيت للبيد، وصدره: لِمُعَفَّر قَهْدٍ تنازعَ شِلْوَهُ، وهو في ديوانه ص١٧١ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/٧٠٩ ، وفيهما (غبس) بدل(غبساً). وأورد ابن منظور في اللسان (متن) شطر البيت أعلاه كرواية المصنف، ونقل عن ابن بري أنه في نسخة ابن القطاع من الصحاح. ثم قال: وهو غلط. . . إلخ. قال ابن قتيبة: المعفَّر: الولد إذا أرادت أمه أن تفطمه تركته يومين لا تسقيه، ثم ترضعه، ثم تتركه ثلاثة أيام، ثم ترضعه حتى يستمر ويعتاد، والقهد: الغنم الصغار الأذناب، تنازع شلوه؛ أي: تجاذب بقية جسده، غبس: ذئاب في ألوانها لا يمن طعامها من عطاء أحد يمتن به إنّما هو كسبها.

(٣) النكت والعيون ٦/٦١ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٤٩ .

(٤) مجمع البيان للطبرسي ٢٩/٢٣ دون نسبة.

(٥) النكت والعيون ٦/٦١ ، والمحرر الوجيز ٥/٣٤٦ .

(٦) تفسير البغوي ٤/٣٧٥ .

(٧) صحيح مسلم (٧٤٦): (١٣٩) مطول، وهو في مسند أحمد (٢٤٢٦٩).

هو أدب القرآن[١]. وقيل: هو رِفْقُه بأمّته وإكرامُه إيّاهم.

وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله، وينتهي[٢] عنه مما نهى الله عنه.

وقيل: أي: إنَّك على طبع كريم. الماورديّ: وهو الظاهر.

وحقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسانُ نفسَه من الأدب يُسَمَّى خُلُقاً؛ لأنَّه يصير كالخِلْقة فيه. وأما ما طُبع عليه من الأدب فهو الخِيم[٣] ـ بالكسر ـ: السَّجِيَّة والطبيعة، لا واحد له من لفظه. وخِيم: اسم جبل[٤]. فيكون الخُلُقُ الطبعَ المتكلَّف، والخِيمُ الطبعَ الغريزي. وقد أوضح الأعشى ذلك في شعره فقال:

وإذا ذُو الـفـضـول ضَنَّ عـلـى الـمَـوْ لَـى وعـادت لِـخِـيـمـهـا الأخـلاقُ

أي: رجعت الأخلاقُ إلى طبائعها[٥].

قلت: ما ذكرته عن عائشةَ في صحيح مسلم أصحُّ الأقوال. وسئلت أيضاً عن خُلُقه عليه الصلاة والسلام، فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] إلى عشر آيات[٦]، وقالت: ما كان أحدٌ أحسنَ خُلُقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: لَبَّيْك؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٧]. ولم يُذكر خُلُقٌ محمود إلا وكان للنبيّ ﷺ منه الحظُّ الأوفر.

(١) قول علي ﷺ في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، وقول عطية في النكت والعيون ٦/ ٦١ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٢ .

(٢) المثبت من (م) وهو الموافق لما في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ وقول قتادة منه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦١ .

(٤) الصحاح (خيم).

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦١ - ٦٢ ، والبيت في ديوان الأعشى ص ٣٢ وروايته فيه: وصارت، بدل: وعادت.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٨١، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٨٧).

(٧) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص١٧-١٨ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١١٩)، والواحدي في أسباب النزول ص٤٧١ وفي إسناده حسين بن علوان؛ قال في المجروحين. ١/ ٢٤٤: كان يضع الحديث، وكذبه أحمد بن حنبل، وذكر ابن عدي في الكامل ٢/ ٧٧٠ عن يحيى بن معين: حسين بن علوان كذّاب، وقال النسائي: متروك الحديث.

وقال الجُنَيْد: سُمِّيَ خلقه عظيماً؛ لأنَّه لم تكن له همة سوى الله تعالى[١]. وقيل: سُمِّيَ خُلُقُه عظيماً؛ لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، يدلّ عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله بعثني لأتمِّم مكارمَ الأخلاق»[٢]. وقيل: لأنه امتثل تأديبَ الله تعالى إياه بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣] [الأعراف:١٩٩]. وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أَدَّبني رَبِّي تأديباً حسناً إذ قال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] فلما قبلت ذلك منه قال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤].

الثانية: روى الترمذيّ عن أبي ذَرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالقِ الناسَ بِخُلُق حَسَن». قال: حديث حسن صحيح[٥].

وعن أبي الدَّرداء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ما شيءٌ أثقلَ في ميزان المؤمن يومَ القيامة من خُلُق حَسَنٍ، وإنَّ الله تعالى لَيُبْغِضُ الفاحشَ البذيءَ». قال: حديث حسن صحيح[٦].

وعنه قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: « ما من شيء يوضع في الميزان أثقلَ من حُسْنِ الخُلُق، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلق ليبلغُ به درجةَ صاحب الصلاة والصوم».

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٤٦ .

(٢) أخرجه البيهقي ١٠/١٩٢ ، بلفظ «إنما بعثت»، وهو من حديث أبي هريرة ﷺ ، وأخرجه أحمد (٨٩٥٢) بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». وسلف ٩/ ٤٢٠ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٤) أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص١ من حديث عبد الله. قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص٧٣: أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء بسند منقطع، فيه من لم أعرفه عن عبد الله أظنه ابن مسعود. وقال ابن تيمية في مجموعة الرسائل الكبرى ص٣٥٣: المعنى صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت.

(٥) سنن الترمذي (١٩٨٧)، وهو في مسند أحمد (٢١٣٥٤) .

(٦) سنن الترمذي (٢٠٠٢).

قال: حديثٌ غريب من هذا الوجه[١].

وعن أبي هريرة قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن أكثرِ ما يُدْخِل الناسَ الجنةَ؟ فقال: «تقوى الله وحسنُ الخُلُق». وسئل عن أكثر ما يُدْخِل الناسَ النارَ؟ فقال: «الفَمُ والفَرْجُ» قال: هذا حديث صحيح غريب[٢].

وعن عبد الله بن المبارك أنَّه وصف حُسْنَ الخُلُق فقال: هو بَسْط الوجه، وبَذْل المعروف، وكَفُّ الأذى[٣].

وعن جابر: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكم منّي مجلساً يومَ القيامة أحاسنَكم أخلاقاً ـ قال ـ وإنّ أبغضَكم إليّ وأبعدَكم مني مجلساً يومَ القيامة الثرثارون والمُتَشدِّقون والمُتَفَيْهِقُون». قالوا: يا رسول الله، قد عَلِمْنا الثرثارون والمتشدّقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». قال: وفي الباب عن أبي هريرةَ، وهذا حديث حسن غريب[٤].

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه: فستعلم ويعلمون يومَ القيامة. وقيل: فسترى ويرون يومَ القيامة حين يتبين الحقّ والباطل[٥]. ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾الباء زائدة، أي: فستبصر ويبصرون أيّكم المفتون، أي: الذي فُتِن بالجنون،

(١) سنن الترمذي (٢٠٠٣)، وأخرجه أحمد (٢٧٥١٧)، وأبو داود (٤٧٩٩) مختصراً.

(٢) سنن الترمذي(٢٠٠٤)، وهو عند أحمد (٩٦٩٦)، وابن ماجه (٤٢٤٦).

(٣) أخرجه عنه الترمذي في سننه (٢٠٠٥).

(٤) سنن الترمذي (٢٠١٨) . وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٨٨٢٢) بنحوه مختصراً، وفي الباب عن أبي ثعلبة الخشني أخرجه أحمد (١٧٧٣٢)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه أحمد (٦٥٠٤).
قال الترمذي: الثرثار: هو الكثير الكلام، والمُتَشَدِّق: الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٢ .

كقوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] و﴿يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] وهذا قول قتادة وأبي عُبيد[1] والأخفش[2]. وقال الراجز:

نحن بنو جَعْدَةَ أصحاب الفَلَجْ نَضربُ بالسيف ونرجو بالفَرَجْ[3]

وقيل: الباء ليست بزائدة، والمعنى: «بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ» أي: الفتنة. وهو مصدر على وزن المفعول، ويكون معناه: الفُتُون، كما قالوا: ما لفلان مجلود ولا معقول؛ أي: عقل ولا جلادة. وقاله الحسن والضحاك وابن عباس[4]. وقال الراعي[5]:

حتى إذا لَمْ يَتْركوا لعظامِهِ لحماً ولا لفؤادِهِ معقولا

أي: عقلاً.

وقيل: في الكلام تقديرُ حذف مضاف، والمعنى: بأيكم فتنة المفتون[6].

وقال الفرّاء[7]: الباء بمعنى في، أي: فستبصِر ويبصرون في أيِّ الفريقين المجنون؛ أبالفِرْقة التي أنت فيها من المؤمنين، أم بالفِرقة الأخرى.

والمفتون: المجنون الذي فتنه الشيطان[8].

وقيل: المفتون المعذَّب. من قول العرب: فتنتُ الذهبَ بالنار: إذا حَمّيتَه. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] أي: يعذَّبون[9].

---

(١) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٤ -٢٠٥ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ وفيهما (أبي عبيدة) بدل (أبي عبيد) وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٦٤ ، وذكر قول قتادة النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٧ .

(٢) في معاني القرآن له ٢/ ٧١٢ .

(٣) الرجز للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص٢١٦ برواية: نضرب بالبِيض. وسلف ١٤/ ٣٥٧ .

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ بنحوه، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ .

(٥) ديوانه ص٢٣٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ .

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣ ، وينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ .

(٨) مجمع البيان ٢٩/ ٢٤ .

(٩) النكت والعيون ٦/ ٦٢ .

ومعظم السورة نزلتْ في الوليد بن المغيرة وأبي جهل[(١)].

وقيل: المفتون هو الشيطان؛ لأنَّه مفتون في دينه. وكانوا يقولون: إنَّ به شيطاناً، وعَنَوْا بالمجنون هذا؛ فقال الله تعالى: فسيعلمون غداً بأيِّهم المجنون، أي: الشيطان الذي يحصل من مسّه الجنونُ واختلاطُ العقل[(٢)].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: إنَّ الله هو العالم بمن حادَ عن دينه. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: الذين هم على الهدى، فيجازِي كُلّاً غداً بعمله.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾

نهاه عن ممايلة المشركين، وكانوا يدعونه إلى أن يكُفّ عنهم ليكفُّوا عنه، فبيّن الله تعالى أنَّ مُمايلتَهم كفر. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤][(٣)]. وقيل: أي: فلا تطع المكذبين فيما دَعوْك إليه من دينهم الخبيث. نزلت في مشركي قريش حين دَعَوْه إلى دين آبائه[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾

قال ابن عباس وعطية والضحاك والسُّدّيّ: ودّوا لو تكفر فيتمَادَوْن على كفرهم[(٥)]. وعن ابن عباس أيضاً: ودّوا لو تُرَخِّص لهم فَيُرخِّصون لك[(٦)]. وقال الفرّاء[(٧)] والكَلْبيُّ: لو تلين فيلينون لك. والإدْهان: التَّليين لمن لا ينبغي له التَّليين. قاله الفرّاء.

---

(١) ينظر الكشاف ٤/ ١٤١ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٧ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٥٧ بنحوه.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ ، والوسيط ٤/ ٣٣٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٢ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣١ . وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٦ عن ابن عباس والضحاك.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٢ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٠ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٦ .

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٦٢ ، وقول الكلبي الآتي في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ .

obeikandl.com

وقال مجاهد: المعنى: ودّوا لو رَكَنْتَ إليهم وتركت الحقَّ فيُمالئونك[١]. وقال الربيع بنُ أنس: ودّوا لو تكذب فيكذبون. وقال قتادة: ودّوا لو تذهب عن هذا الأمرِ فيذهبون معك[٢]. الحسن: ودّوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم. وعنه أيضاً: ودّوا لو ترفض بعضَ أمرك فيرفضون بعضَ أمرهم. زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون[٣]. وقيل: ودّوا لو تضعف فيضعفون. قاله أبو جعفر[٤].

وقيل: ودّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. قاله القُتَبيُّ. وعنه: طلبوا منه أن يعبدَ آلهتهم مدّة ويعبدوا إلهه مدّة[٥]. فهذه اثنا عشر قولاً.

ابن العربيّ[٦]: ذكر المفسرون فيها نحوَ عشرة أقوال، كلُّها دعاوَى على اللغة والمعنى. أمثلُها قولهم: ودّوا لو تكذب فيكذبون، ودّوا لو تكفر فيكفرون.

قلت: كلُّها إن شاء الله تعالى صحيحةٌ على مقتضى اللغة والمعنى؛ فإنَّ الإدْهان: اللينُ والمصانعة[٧]. وقيل: مجاملة العدُوّ وممايلته[٨]. وقيل: المقاربة في الكلام والتَّليين في القول[٩]. قال الشاعر:

لَبعضُ الغَشْمِ أحزمُ في أمورٍ تنوبُك من مداهنةِ العدوِّ[١٠]

(١) الوسيط ٤/ ٣٣٥، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٢، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٧.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٢، وأخرج قول قتادة الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٧ بلفظ: «لو أدهنت عن هذا الأمر فأدهنوا معك».

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧، وزاد المسير ٨/ ٣٣٠-٣٣١.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٦٢.

(٥) تفسير غريب القرآن ص٤٧٨.

(٦) في أحكام القرآن له ٤/ ١٨٤٣.

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٣.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٦٣.

(٩) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٣.

(١٠) في (م) العده، والمثبت من (د) و(ظ)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٦٣ والبيت فيه، ولم نقف على قائله. الغَشْم: الظلم. اللسان (غشم).

وقال المفضَّل: النفاق وتركُ المناصحة، فهي على هذا الوجه مذمومةٌ، وعلى الوجه الأوّل غيرُ مذمومة[١]، وكلٌّ شيء منها لم يكن.

قال المبرد: يقال: أدهن في دينه وداهن في أمره؛ أي: خان فيه وأظهر خلاف ما يضمر[٢].

وقال قومٌ: داهنتُ بمعنى: واريت، وأدهنت بمعنى: غششت. قاله الجوهريُّ[٣].

وقال: «فَيُدْهِنُونَ» فساقه على العطف، ولو جاء به جواب التمني[٤] لقال: فيدهنوا. وإنما أراد: إنهم[٥] تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك، عطفاً لا جزاءً عليه ولا مكافأة، وإنّما هو تمثيل وتنظير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

يعني الأخنسَ بنَ شَرِيق، في قول الشعبيَ والسُّدِّيّ وابن إسحاق. وقيل: الأسود ابن عبد يغوث، أو عبد الرحمن بن الأسود. قاله مجاهد. وقيل: الوليد بن المغيرة، عرضَ على النبيّ ﷺ مالاً، وحلف أن يعطيَه إن رجع عن دينه. قاله مقاتل[٦]. وقال ابن عباس: هو أبو جهل بن هشام[٧]. والحلّاف: الكثير الحَلِف[٨].

والمَهِين: الضعيف القلب؛ عن مجاهد. ابن عباس: الكذّاب. والكذّاب مهين.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٣.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٣.

(٣) في الصحاح (دهن).

(٤) في النسخ: النهي، والمثبت من أحكام ابن العربي ٤/ ١٨٤٤، والكلام منه، ووقع في بعض نسخه: النهي، كما ذكر في حواشيه.

(٥) في النسخ: إن، والمثبت من أحكام القرآن.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٣، ٦٥ دون ذكر عبد الرحمن بن الأسود، والشعبي.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٧.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٣.

وقيل: المِكثار في الشَّر. قاله الحسن وقتادة[١]. وقال الكلبيّ: المَهِين: الفاجر العاجز.

وقيل: معناه الحقير عند الله[٢].

وقال ابن شجرة: إنه الذليل[٣]. الرُّمّاني: المَهين: الوضيع لإكثاره من القبيح.

وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة، وهي هنا القلة في الرأي والتمييز[٤]. أو هو فعيل بمعنى مُفْعَل؛ والمعنى مُهان.

﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابن زيد: الهمّاز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم. واللَّمّاز باللسان[٥]. وقال الحسن: هو الذي يهمز بأخيه[٦] في المجلس، كقوله تعالى: ﴿هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

وقيل: الهَمّاز: الذي يذكر الناسَ في وجوههم. واللَّمّاز: الذي يذكرهم في مغيبهم. قاله أبو العالية وعطاء ابن أبي رباح والحسن أيضاً[٧].

وقال مقاتل ضدّ هذا الكلام: إنَّ الهُمَزَة الذي يغتاب بالغيبة، واللُّمَزَة الذي يغتاب في الوجه. وقال مرّة: هما سواء[٨]. وهو القَتّات الطّعّان للمرء إذا غاب. ونحوه عن ابن عباس وقتادة[٩]. قال الشاعر:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٣ دون ذكر الحسن، وأخرج أثر ابن عباس والحسن وقتادة الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٨.

(٢) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٣٩٢ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٥.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٣، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٩.

(٦) في النسخ (ناحية)، والمثبت من تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨. وينظر تفسير الرازي ٣٢/ ٩٢.

(٧) زاد المسير ٩/ ٢٢٧.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢١.

(٩) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره ٢٤/ ٦١٨.

تُـدْلـي بِـوُدٍّ إذا لاقـيـتَـنـي كـذبـاً ... وإنْ أغيَّب[1] فأنت الـهـامزُ الـلُّـمَـزَهْ

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ أي: يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم. يقال: نَمّ يَنُمّ نَمًّا ونَمِيماً ونَمِيمَةً[2]، أي: يمشي ويسعى بالفساد.

وفي صحيح مسلم عن حُذيفة: أنَّه بلغَهُ أنَّ رجلاً ينُمُّ الحديثَ، فقال حذيفةُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يدخلُ الجنةَ نمّامٌ»[3]. وقال الشاعر[4]:

ومولىً كبَيْتِ النَّملِ لا خيرَ عنده ... لـمـولاه إلا سَـعْـيُـه بـنـمـيـم

قال الفرّاء: هما لغتان. وقيل: النَّميم جمع نَميمة[5].

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: للمال أن ينفَق في وجوهه. وقال ابن عباس: يمنع عن الإسلام ولدَه وعشيرتَه. وقال الحسن: يقول لهم: من دخل منكم في دين محمد، لا أنفعه بشيء أبداً[6].

﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: على الناس في الظلم، متجاوز للحدّ، صاحب باطل. ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: ذي إثم، ومعناه أَثُوم، فهو فَعيل بمعنى فَعول.

﴿عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ العُتُلّ: الجافي الشديد في كفره[7]. وقال الكلبيّ والفراء: هو الشديد الخصومة بالباطل. وقيل: إنه الذي يعتِلُ الناس فيجرّهم إلى حبس أو عذاب. مأخوذ من العَتْل، وهو الجرّ، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾[8] [الدخان: ٤٧].

(١) في (م) أغب، والشاعر هو زياد الأعجم كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣١١، والبيت أيضاً في إصلاح المنطق ص٤٧٥ وروايتهما (بودِّي) بدل (بودٍّ).

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٤.

(٣) صحيح مسلم (١٠٥): (١٦٨)، وهو في مسند أحمد (٢٣٣٢٥).

(٤) هو البعيث ـ خِداش بن بشر ـ كما في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٦٣٧، والحيوان للجاحظ ٤/ ٣٢.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٤، وكلام الفراء بنحوه في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣.

(٦) ذكر القولين البغوي في تفسيره ٤/ ٣٧٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ١٦١.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٦٤ دون ذكر الفراء، وكلامه في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣.

وفي الصِّحاح[١]: وعتَلْتُ الرجلَ أعتِله وأعتُله: إذا جذبتَه جذباً عنيفاً. ورجل مِعْتَل؛ بالكسر. وقال[٢] يصف فرساً:

نَفْرَعُهُ فَرْعاً ولسنا نَعْتِلُهْ

قال ابن السِّكِّيت: عَتَله وعَتَنه، باللام والنون جميعاً. والعُتُلّ: الغليظ الجافي. والعُتُلّ أيضاً: الرمح الغليظ. ورجل عَتِلٌ؛ بالكسر: بَيِّن العَتَل، أي: سريع إلى الشرّ. ويقال: لا أنْعتِلُ معك، أي: لا أبرح مكاني[٣].

وقال عُبيد بن عمير: العُتُلّ: الأكولُ الشروب القويّ الشديد؛ يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة، يدفع المَلَكُ من أولئك في جهنم بالدُّفعة الواحدة سبعين ألفاً. وقال عليّ بن أبي طالب والحسن: العُتُلّ الفاحش السيِّء الخلق[٤].

وقال مَعْمَر: هو الفاحش اللئيم[٥]. قال الشاعر:

بعُتُلّ من الرجال زَنيم غيرِ ذي نجدة وغيرِ كريم[٦]

وفي صحيح مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبيّ ﷺ قال: «ألَا أخبرُكم بأهل الجنة؟» قالو: بلى. قال: «كلُّ ضعيفٍ مُتَضَعَّف، لو أقسم على الله لأبرَّه. ألا أخبرُكم بأهل النار؟» قالوا: بلى. قال: «كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستَكْبِر». في رواية عنه: «كلُّ جوّاظ زَنيمٍ متكبِّر»[٧]. الجَوّاظ: قيل: هو الجَمُوع المنوع. وقيل: الكثير اللحم المختال[٨].

---

(١) مادة (عتل).

(٢) هو أبو النجم، وسلف البيت ١٦/ ١٥٠ .

(٣) الصحاح (عتل).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ دون ذكر علي بن أبي طالب، وأخرج أثر عبيد بن عمير ابن أبي شيبة ١٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٤ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٦٢ عن القاسم مولى معاوية، مرفوعاً.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٤ . ولم نقف على قائل البيت.

(٧) صحيح مسلم (٢٨٥٣)، وأخرجه أحمد (١٨٧٢٨)، والبخاري (٦٠٧١).

(٨) المفهم ٧/ ١٧٠ .

وذكر الماوردي[١] عن شَهْر بن حَوْشَب، عن عبد الرحمن بن غَنْم، ورواه ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يدخل الجنةَ جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ، ولا الْعُتُلّ الزَّنيم». فقال رجل: ما الجَوّاظ وما الجَعْظَرِيّ وما العتلُّ الزَّنيم؟ فقال رسول الله ﷺ: «الجوّاظ: الذي جَمعَ ومنع، والجَعْظَريّ: الغليظ، والعُتُلّ الزَّنيم: الشديد الخَلْق، الرّحيب الجوف، المصَحَّح، الأكول الشروب الواجد للطعام، الظلوم للناس».

وذكره الثعلبي عن شدّاد بن أوس: «لا يدخلُ الجنةَ جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ ولا عُتُلٌّ زنيم» سمعتهن من النبيّ ﷺ. قلت: وما الجَوّاظ؟ قال: الجَمَّاع المنّاع. قلت: وما الجَعْظَرِيّ؟ قال: الفَظّ الغليظ. قلت: وما العُتُلّ الزنيم؟ قال: الرَّحِيب الجوف، الوَثِير الخَلْق، الأكول الشروب، الغَشوم الظلوم[٢].

قلت: فهذا التفسير من النبيّ ﷺ في العُتُلّ قد أربى على أقوال المفسرين. ووقع في كتاب أبي داود في تفسير الجَوّاظ أنه الفَظُّ الغليظ. ذكره من حديث حارثة بن وهب الخُزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ الجَوّاظ ولا الجَعْظَرِيّ». قال: والجَوّاظ: الفظُّ الغليظ[٣]. ففيه تفسيران مرفوعان حسب ما ذكرناه أوّلاً. وقد قيل: إنه الجافي القلب[٤].

وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: قال النبيّ ﷺ: «تبكي السماءُ من رجل أصحّ الله جِسْمَه، ورحّب جَوْفَه، وأعطاه من الدنيا بعضاً.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٦٤ - ٦٥ ، وأخرجه أحمد (١٧٩٩٣) عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غَنْم مختصراً. وشهر كثير الإرسال والأوهام، وعبد الرحمن بن غَنْم مختلف في صحبته، كما ذكر الحافظ ابن حجر في التقريب.

وله شواهد؛ منها الحديث السالف.

(٢) أخرجه الجصاص في أحكام القرآن ٣/ ٤٦٧ دون قوله: الوثير الخلق...، والوثارة: كثرة الشحم. الصحاح (وثر).

(٣) سنن أبي داود (٤٨٠١).

(٤) المفهم ٧/ ١٧٠ عن ابن دريد.

فكان للناس ظَلوماً، فذلك الْعُتُلُّ الزنيم. وتبكي السماءُ من الشيخ الزاني ما تكاد الأرض تُقِلّه»[١].

والزَّنِيم: المُلْصَق بالقوم الدَّعِيّ؛ عن ابن عباس وغيره. قال الشاعر:

زَنِيمٌ تداعاه الرجالُ زيادةً كما زِيد في عَرْضِ الأدِيمِ الأكارعُ[٢]

وعن ابن عباس أيضاً: أنه رجل من قريش كانت له زَنَمة كزنمة الشاة[٣]. وروى عنه ابن جُبَير: أنه الذي يُعرف بالشرِّ؛ كما تُعرف الشاة بزنمتها[٤]. وقال عِكرِمة: هو اللئيم الذي يُعرف بلؤمه؛ كما تُعرف الشاة بزنمتها[٥].

وقيل: إنه الذي يعرف بالأُبْنةِ[٦]. وهو مرويّ عن ابن عباس أيضاً. وعنه أنه الظَّلوم[٧].فهذه ستة أقوال.

وقال مجاهد: زَنِيم كانت له ستة أصابع في يده، في كل إبهام له إصبع زائدة. وعنه أيضاً وسعيدِ بن المسيّب وعكرمة: هو ولد الزّنى الملحق في النسب بالقوم[٨]. وكان الوَلِيد دَعِيّاً في قريش ليس من سِنْخهم، ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده[٩]. قال الشاعر:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٣٠٨، والطبري ٢٣/١٦٣ وفيهما: «وأعطاه من الدنيا مقضماً». والخبر مرسل.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/٣٩٣، والبيت نسب لحسان بن ثابت، ونسب للخطيم التميمي، وسلف ١/٤٥.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩١٧)، والزَّنَمة: شيء يكون للمعز في أذنها كالقُرط، أو شيءٌ يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً. الصحاح (زنم).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٦ - ١٦٧، والحاكم ٢/٤٩٩.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٨.

(٦) الأُبْنة: العيب في الكلام. اللسان (أبن).

(٧) النكت والعيون ٦/٦٥، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٧.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٤ - ١٦٥ عن ابن عباس وسعيد وعكرمة.

(٩) الكشاف ٤/١٤٢، وتفسير الرازي ٣٠/٨٥، وقوله: سنخهم؛ السنخ: الأصل. الصحاح (سنخ).

زنيمٌ ليس يُعرفُ مَن أبوه بغيُّ الأُمِّ ذو حَسَب لئيمِ[(١)]

وقال حَسَّان:

وأنتَ زَنيمٌ نِيطَ في آل هاشمٍ كما نِيطَ خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[(٢)]

قلت: وهذا هو القول الأول بعينه. وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه: أنَّه الذي لا أصل له، والمعنى واحد.

ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنةَ وَلَدُ زنىً، ولا ولدُه، ولا ولدُ ولدِه»[(٣)]. قال عبد الله بن عمر: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ أولادَ الزنى يُحشرون يومَ القيامة في صورة القردةِ والخنازير»[(٤)].

وقالت ميمونة: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لا تزالُ أمتي بخير ما لم يَفْشُ فيهم ولدُ الزِّنَى، فإذا فَشَا فيهم ولدُ الزنى، يوشك[(٥)] أن يعمَّهم الله بعقاب»[(٦)]. وقال عكرمة: إذا كثر ولدُ الزنى قَحَطَ المَطَرُ.

قلت: أما الحديث الأول والثاني، فما أظنُّ لهما سنداً يصح، وأما حديث ميمونةَ وما قاله عكرمةُ؛ ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جَحْش زوجِ النبيِّ ﷺ

---

(١) سلف ١/ ٤٤.

(٢) ديوان حسان ص٢١٦ . وقوله: نيط، أي: عُلق، والمنوط بالقوم، أي: الدخيل فيهم.

(٣) الكشاف ٤/ ١٤٣ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٥ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٠٨ ، ٨/ ٢٤٩ عن مجاهد واضطربت الرواية عنه، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٣٠٠ ، وقال: ثم أيّ ذنب لولد الزنى حتى يمنعه من دخول الجنة، فهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظمها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. وقال صاحب تنزيه الشريعة ٢/ ٢٢٨ : لا يصح.

(٤) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٢/ ٧٥ من طريق زيد بن عياض. قال في الفوائد المجموعة ص٢٠٤ : هو موضوع. وقال في لسان الميزان ٢/ ٥١٠ : ذكره العقيلي في الضعفاء وكناه أبا عياض.

(٥) في النسخ عدا (ظ) أوشك.

(٦) أخرجه أحمد (٢٦٨٣٠) وفيه ضعفاء، وله شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم ٢/ ٣٧ بلفظ: إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله، وحديث زينب الآتي ذكره.

قالت: خرج النبيُّ ﷺ يوماً فَزِعاً مُحْمَرّاً وَجْهُهُ يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه» وحلّق بإصبعيه الإبهامِ والتي تليها. قالت: فقلت: يا رسول الله، أَنَهْلِك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثُر الخَبَث» خرّجه البخاريّ[١]. وكثرةُ الخبث ظهورُ الزنى وأولادُ الزنى. كذا فسّره العلماء[٢].

وقول عكرمة «قَحَطَ المطر» تبيينٌ لما يكون به الهلاك، وهذا يحتاج إلى توقيف، وهو أعلم من أين قاله.

ومعظم المفسرين على أنَّ هذا نزل في الوليد بن المغيرة، وكان يُطعم أهلَ مِنىً حَيْساً[٣] ثلاثة أيام، وينادي: ألَا لا يوقدنّ أحد تحت بُرْمَةٍ[٤]، ألا لا يدخننّ أحد بكُراع، ألا ومن أراد الحَيْس فليأت الوليدَ بن المغيرة. وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين ألفاً وأكثر، ولا يعطي المسكين[٥] درهماً واحداً؛ فقيل: «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ». وفيه نزل: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت:٦-٧].

وقال محمد بن إسحاق: نزلت في الأَخْنَس بن شَريق؛ لأنه حليفٌ مُلْحق في بني زُهْرة، فلذلك سُمّيَ زَنِيماً[٦].

وقال ابن عباس: في هذه الآية نُعِت، فلم يعرف حتى قيل[٧]، فعُرف، وكان له زَنَمة في عنقه معلّقة يُعرف بها. وقال مُرّة الهَمْدانيّ: إنما ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة[٨].

---

(١) في صحيحه (٧٠٥٩)، وهو عند مسلم (٢٨٨٠)، وأحمد (٢٧٤١٣).

(٢) ينظر إكمال المعلم ٨/ ٤١٢ ، والمفهم ٧/ ٢٠٨ .

(٣) الحيس: هو تمر يخلط بسمنٍ أو أَقِطٍ. الصحاح (حيس).

(٤) البُرْمة: هي القِدر. الصحاح (برم).

(٥) في (ظ) المسلمين.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٥ .

(٧) المثبت من (د)، وفي غيرها: قتل، وفي تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ حتى قيل: زنيم، فعرف...

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ .

قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ أبو جعفر وابنُ عامر وأبو حَيْوة والمغيرة والأعرج: «آن كان» بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام. وقرأ المُفَضّل وأبو بكر وحمزةُ: «أأن كان» بهمزتين مُحَقّقتين. وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر[1]، فمن قرأ بهمزة مطولة أو بهمزتين محققتين، فهو استفهام والمراد به التوبيخ[2].

ويحسن له أن يقف على «زنِيم»، ويبتدئ: «آنْ كَانَ» على معنى: أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين تطيعه؟ ويجوز أن يكون التقدير: أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين يقول إِذَا تُتْلَى عليهِ آيَاتُنَا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ[3]!

ويجوز أن يكون التقدير: أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر. ودلّ عليه ما تقدم من الكلام، فصار كالمذكور بعد الاستفهام.

ومن قرأ: «أَنْ كَانَ» بغير استفهام، فهو مفعول من أجله، والعاملُ فيه فعل مضمر، والتقدير: يكفر لأن كان ذا مال وبنين. ودلَّ على هذا الفعل: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. ولا يعمل في «أنْ»: «تُتْلَى» ولا «قَالَ»؛ لأنَّ ما بعد «إِذَا» لا يعمل فيما قبلها؛ لأنَّ «إِذَا» تضاف إلى الجمل التي بعدها، ولا يعمل المضاف إليه فيما قبل المضاف. و«قال» جواب الجزاء، ولا يعمل فيما قبل الجزاء؛ إذ حكم العامل أن يكونَ قبل المعمول فيه، وحكم الجواب أن يكونَ بعد الشرط، فيصير مقدماً مؤخراً في حال[4]. ويجوز أن يكون المعنى: لا تطعه لأن كان ذا يسار وعدد.

---

(١) السبعة ص٦٤٦، والتيسير ص٢١٣. والنشر ١/٣٦٧.

(٢) الوسيط ٤/٣٣٦.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٩٤٣ - ٩٤٤ ووقع في (ز) و(ظ): قال أساطير الأولين.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/٧٤٨ - ٧٤٩.

قال ابن الأنباري[١]: ومن قرأ بلا استفهام، لم يحسن أن يقف على «زَنِيم»؛ لأنَّ المعنى: لأنْ كان وبأنْ كان، فـ «أن» متعلقة بما قبلها.

قال غيره: يجوز أن يتعلق بقوله: «مَشَّاءٍ بِنَمِيم»، والتقدير: يمشي بنميم لأن كان ذا مال وبنين.

وأجاز أبو عليّ أن يتعلق بـ «عُتُلٍّ»[٢]. وأساطير الأولين: أباطيلُهم وتُرّهاتُهم وخرافاتُهم. وقد تقدم[٣].

قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ قال ابن عباس: معنى «سَنَسِمُهُ»: سَنَخْطِمُه بالسيف. قال: وقد خُطم الذي نزلت فيه يومَ بدر بالسيف، فلم يزل مخطوماً إلى أن مات. وقال قتادة: سنسمه يومَ القيامة على أنفه سِمةً يُعرف بها[٤]. يقال: وسَمْته وَسْماً وسِمَةً: إذا أثّرتَ فيه بِسِمَةٍ وكَيّ[٥].

وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، فهذه علامة ظاهرة. وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]. وهذه علامة أخرى ظاهرة. فأفادت هذه الآية علامة ثالثةً وهي الوسم على الأنف بالنار[٦]، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] قاله الكلبي وغيره[٧].

---

(١) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٤ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨ بنحوه.

(٣) ٨/ ٣٤٦ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٩ ، والطبري ٢٣/ ١٧٠ .

(٥) الصحاح (وسم).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٥ .

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٦٦ بنحوه.

وقال أبو العالية ومجاهد: «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» أي: على أنفه، ونسوّد وجهَه في الآخرة، فَيُعْرف بسواد وجهه[١].

والخُرطوم: الأنفُ من الإنسانُ، ومن السباع: موضعُ الشَّفَة[٢]. وخراطيم القوم: ساداتُهم[٣].

قال الفراء[٤]: وإن كان الخُرْطُوم قد خُصّ بالسِّمة؛ فإنه في معنى الوجه؛ لأنَّ بعض الشيء يعبّر به عن الكلّ.

وقال الطبري[٥]: نبيّن أمرَه تِبياناً واضحاً حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السِّمة على الخراطيم.

وقيل: المعنى سَنُلْحِقُ به عاراً وسُبَّةً حتى يكون كمن وُسِم على أنفه[٦].

قال القُتَبيّ[٧]: تقول العرب للرجل يُسَبّ سُبّةَ سوء قبيحة باقية: قد وُسِم مِيسَم سوء، أي: أُلْصِق به عارٌ لا يفارقه، كما أنَّ السِّمة لا يُمْحَى أثرها. قال جرير:

لمّا وضعتُ على الفَرَزْدَق مِيسَمِي ... وعلى البَعِيث جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ[٨]

أراد به الهجاءَ. قال[٩]: وهذا كلُّه نزل في الوليد بن المغيرة. ولا نعلم أنَّ الله

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٦، ونسب الماوردي فيه الكلام للمبرّد .

(٣) أساس البلاغة (خرط).

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٤ .

(٥) في تفسيره ٢٣/ ١٧٠ - ١٧١ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ بنحوه.

(٧) في تأويل مشكل القرآن ص١١٨ - ١١٩ .

(٨) ديوان جرير بشرح ابن حبيب ٢/ ٩٤٠ . وروايته فيه: وضعنا البَعيث، بدل: وعلى البعيث، ووقع في هامش (خ) و(ي) ما نصُّه: البعيث اسم شاعر من تميم .اهـ. والبعيث هو خداش بن بشر.

(٩) القائل القتبي في تأويل مشكل القرآن ص١٢٠ .

تعالى بلغ من ذكر عيوب أحدٍ ما بلغه منه، فألحقه به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوَسْم على الخُرْطوم.

وقيل: هو ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه وماله وأهله من سوء وذُلّ وصَغار. قاله ابن بحر. واستشهد بقول الأعشى:

فدعها وما يعنيك واعمِدْ لغيرها بشعرك واعْلُب أنفَ من أنت واسمُ[(١)]

وقال النَّضْر بن شُمَيل: المعنى: سنحُدّه على شرب الخمر، والخُرطوم: الخمر، وجمعه خراطيم، قال الشاعر:

تَظَلُّ يومك فِي لَهْوٍ وفي طَرَبٍ وأنت بالليل شَرّاب الخراطيمِ[(٢)]

قال الراجز:

صَهْبَاءَ خُرْطوماً عُقاراً قَرْقَفَا[(٣)]

وقال آخر:

أبا حاضرٍ من يَزْنِ يُعْرفْ زِناؤُه ومن يشربِ الخُرْطومَ يُصبحْ مُسَكَّرا[(٤)]

الثانية: قال ابن العربي[(٥)]: كان الوَسْم في الوجه لذي المعصية قديماً عند الناس، حتى إنَّه رُوي ـ كما تقدم ـ أنَّ اليهود لما أهملوا رَجْم الزاني، اعتاضوا منه بالضرب وتحميم الوجه، وهذا وضع باطل. ومن الوسم الصحيح في الوجه: ما رأى

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٦، وبيت الأعشى في ديوانه ص٩، وورد في (م): (يغنيك) بدل: (يعنيك). قوله: اعلُب: يقال علبتُه أعلُبُه: إذا وسمته أو خدشته. الصحاح (علب).

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٧ دون قوله: وجمعه خراطيم.

(٣) هذه كلها من أسماء الخمر، والرجز للعجاج وهو في ديوانه ص٤٢٣، وقبله: فغمّها حولين ثم استودفا. قال شارحه: استودف: استقطر.

(٤) البيت للفرزدق كما في جمهرة اللغة ٣/ ٢٥٥، والصحاح (زنى)، والبيت أيضاً في مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢١ وروايته: يظهر، بدل: يعرف، والصهباء، بدل: الخرطوم. ونسبه للفرزدق، ثم قال: وبعضهم يرويها لزياد الأعجم، وكان أبو حاضر أحد المشهورين بالزنى.

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ١٨٤٥، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

العلماء من تسويد وجه شاهد الزور، علامةً على قُبْح المعصية وتشديداً لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجى تجنُّبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته؛ فقد كان عزيزاً بقول الحقّ، وقد صار مَهيناً بالمعصية. وأعظمُ الإهانة [إهانةُ الوجه]. وكذلك كانت الاستهانة به في طاعة الله سبباً لخيرة الأبد والتحريم له على النار؛ فإنَّ الله تعالى قد حرَّم على النار أن تأكلَ من ابن آدم أثَرَ[١] السجود، حسب ما ثبت في الصحيح[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يريد أهلَ مكة. والابتلاء الاختبار. والمعنى: أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليَبْطروا، فلما بَطِرُوا وعادَوْا محمداً ﷺ، ابتليناهم بالجوع والقَحْط، كما بلونا أهلَ الجنة المعروفِ خبرُها عندهم. وذلك أنها كانت بأرض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء ـ ويقال بفرسخين ـ وكانت لرجل يؤدّي حقَّ الله تعالى منها، فلما مات صارت إلى ولده، فمنعوا الناس خيرَها، وبَخِلُوا بحقِّ الله فيها؛ فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حلّ بها.

قال الكلبي: كان بينهم وبين صنعاء فرسخان، ابتلاهم الله بأن أحرق جنتهم.

وقيل: هي جنةٌ بصَوْران، وصوران[٣] على فراسخ[٤] من صنعاء، وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير ـ وكانوا بخلاء ـ فكانوا يجدُّون التمر ليلاً

---

(١) صحيح البخاري (٨٠٦)، وصحيح مسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مطولاً.

(٢) في (ظ): موضع أثر.

(٣) في (ق) و(م) بضوران، وضوران . . . إلخ. والمثبت من باقي النسخ، حيث ذكر ياقوت صوران في معجم البلدان ٣/ ٤٣٣ . ووقع في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩: الضروان، وفي النكت والعيون ٦/ ٦٧: ضروان، وفي تفسير أبي الليث: ضيروان.

(٤) في (م) فرسخ.

من أجل المساكين، وكانوا أرادوا حصادَ زرعها، وقالوا: لا يدخلها اليوم عليكم مسكين، فغَدَوْا عليها؛ فإذا هي قد اقْتُلِعَت من أصلها، فأصبحت كالصَّريم، أي: كالليل. ويقال أيضاً للنهار: صريم. فإن كان أراد الليلَ، فلاسْوداد موضعها. وكأنهم وجدوا مَوْضِعَها حَمْأة[١]. وإن كان أراد بالصَّريم النهارَ؛ فلذهاب الشجرِ والزرعِ ونقاءِ الأرض منه. وكان الطّائف الذي طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتعلها. فيقال: إنه طاف بها حَوْل البيت ثمَّ وضعها حيث مدينة الطائف اليوم؛ ولذلك سُمِّيت الطائف[٢]. وليس في أرض الحجاز بلدةٌ فيها الشجر والأعناب والماء غيرها. وقال البكري في المُعْجَم: سُمِّيت الطائف لأنَّ رجلاً من الصَّدِف[٣] يقال له: الدَّمُون؛ بنى حائطاً وقال: قد بَنَيْتُ لكم طائفاً حول بلدكم؛ فسُمِّيت الطائف. والله أعلم[٤].

الثانية: قال بعض العلماء: على من حصد زَرْعاً أو جَدَّ ثمرةً أن يواسيَ منها مَنْ حضره، وذلك معنى قوله: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١]، وأنه غير الزكاة على ما تقدّم في «الأنعام» بيانه[٥]. وقال بعضهم: وعليه ترك ما أخطأه الحصّادون. وكان بعض العبّاد يتحرّون أقواتَهم من هذا. وروي أنه نُهيَ عن الحصاد بالليل[٦]. فقيل: إنه لِما ينقطع عن المساكين في ذلك من الرفق. وتأوّل من قال هذا

(١) الحَمْأة: الطين الأسود المنتن. اللسان (حمأ).

(٢) في هذا الكلام نظر، وليس فيه ما يصح.

(٣) الصَّدِف: مِخلاف (وهي الناحية أو المحافظة في الاصطلاح الحديث) من اليمن منسوب إلى القبيلة. معجم البلدان ٣/ ٣٩٧.

(٤) التعريف والإعلام ص١٧٤ - ١٧٥.

(٥) ٩/ ٥٣.

(٦) أخرجه البزار (٨٨٤) (كشف الأستار) عن عائشة رضي الله عنها، وقال: لا نعلمه عن عائشة إلا من هذا الوجه، وعنبسة حدّث بأحاديث لم يتابع عليها، وهو لين الحديث. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٧٧: فيه عنبسة بن سعيد البصري، وهو ضعيف، وقد وثق.

وأخرجه أبو داود في المراسيل (١٢٨)، والبيهقي ٩/ ٢٨٩ - ٢٩٠ عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين مرسلاً.

الآيةَ التي في سورة ن وَالقَلِمِ. وقيل: إنَّما نهى عن ذلك خشيةَ الحيّات وهوامّ الأرض[١].

قلت: الأوّل أصح، والثاني حسن. وإنما قلنا: الأول أصح؛ لأنَّ العقوبة كانت بسبب ما أرادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى.

روى أسباط عن السُّدِّيّ قال: كان قوم باليمن، وكان أبوهم رجلاً صالحاً وله جنة[٢]، وكان إذا بلغ ثمارُه أتاه المساكين، فلم يمنعهم من دخولها وأن يأكلوا منها ويتزوّدوا، فلما مات قال بَنُوه بعضهم لبعض: عَلَامَ نُعطي أموالَنا هؤلاء المساكين! تعالَوْا فلْنُدْلج[٣] فنصْرمنّها قبل أن يعلم المساكين. ولم يستثنوا، فانطلقوا وبعضُهم يقول لبعض خَفْتاً[٤]: لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ﴾ يعني حلفوا فيما بينهم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ يعني ليجذّنّها وقت الصبح قبل أن تخرج المساكينُ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ يعني لم يقولوا: إن شاء الله[٥].

وقال ابن عباس: كانت تلك الجنةُ دون صنعاء بفرسخين، غرسها رجلٌ من أهل الصَّلاح وكان له ثلاثة بنين، وكان للمساكين كلُّ ما تعدّاه الْمِنجَل فلم يجذّه من الكَرْم، فإذا طُرح على البساط فكلُّ شيء سقط عن البساط فهو أيضاً للمساكين، فإذا حصدوا زرعَهم فكلُّ شيء تعدّاه المِنجَل فهو للمساكين، فإذا دَرَسُوا[٦] كان لهم كل شيء انتثر؛ فكان أبوهم يتصدّق منها على المساكين، وكان يعيش في ذلك في حياة أبيهم اليتامى والأراملُ والمساكينُ، فلما مات أبوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم، فقالوا:

---

(١) ينظر غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٧.

(٢) قوله: وله جنة، من (ظ).

(٣) أدلج القوم: إذا ساروا من أول الليل الصحاح (دلج).

(٤) الخَفْت: إسرار المنطق. الصحاح (خفت).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٦) درسوا الحنطة دِراساً: أي داسوها. الصحاح (درس).

قلّ المالُ وكثر العيال، فتحالفوا بينهم ليغدُوُنَّ غُدوة قبل خروج الناس، ثم لَيَصْرِمنّها ولا تعرف المساكين[١].

وهو قوله: «إِذْ أَقْسَمُوا» أي: حلفوا «لَيَصْرِمُنَّها»: ليقطعُنَّ ثمرَ نخيلهم إذا أصبحوا بسُدْفة[٢] من الليل؛ لئلا ينتبه المساكين لهم. والصرم: القطع. يقال: صرم العِذق عن النخلة. وأصرم النخلُ، أي: حان وقت صِرامه[٣]. مثل: أَرْكَبَ المُهرُ، وأحصدَ الزرعُ، أي: حان ركوبه وحَصاده.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي: ولم يقولوا إن شاء الله. ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: ينادي بعضُهم بعضاً[٤]. ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾: عازمين على الصّرام والجِداد[٥]. قال قتادة: حاصدين زرعَكم. وقال الكلبيّ: ما كان في جنتهم من زرع ولا نخيل.

وقال مجاهد: كان حرثُهم عِنَباً ولم يقولوا: إن شاء الله. وقال أبو صالح: كان استثناؤهم قولهم: سبحان الله رَبِّنا. وقيل: معنى «وَلَا يَسْتَثْنُونَ» أي: لا يستثنون حقَّ المساكين. قاله عكرمة[٦]. فجاؤوها ليلاً فرأوا الجنة مسودّةً قد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. قيل: الطائف جبريل عليه السلام؛ على ما تقدّم ذكره[٧].

وقال ابن عباس: أمْرٌ من ربك. وقال قتادة: عذاب من ربّك. ابن جريج: عُنُق من نار[٨] خرج من وادي جهنم. والطائف لا يكون إلا بالليل. قاله الفرّاء[٩].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ .

(٢) السدفة: الظلمة، والضوء. وهو من الأضداد. الصحاح (سدف).

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٧ بنحوه.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٤ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٨ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٧ - ٦٨ .

(٧) في المسألة الأولى.

(٨) أي: قطعة من النار. اللسان (عنق).

(٩) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٦٧ وما قبله منه، ووقع في النكت والعيون (من وادي جنتهم) بدل (من وادي جهنم).

الثالثة: قلت: في هذه الآية دليلٌ على أنَّ العزم مما يؤاخذ به الإنسان؛ لأنَّهم عزموا على أن يفعلوا، فعوقبوا قبل فعلهم. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج: ٢٥].

وفي الصحيح[١] عن النبيّ ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتلُ والمقتول في النار»: قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بالُ المقتولِ؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه». وقد مضى مبيَّناً في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [الآية: ١٣٥][٢].

قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ أي: كالليل المظلم؛ عن ابن عباس[٣] والفرّاء[٤] وغيرهما. قال الشاعر:

تطاول لَيْلُك الجَوْنُ البَهيمُ ... فما ينجابُ عن صبح صريمُ[٥]

أي: احترقت فصارت كالليل الأسود[٦]. وعن ابن عباس أيضاً: كالرَّماد الأسود[٧]. قال: والصَّريم: الرماد الأسود بلغة خُزَيمة[٨]. الثوريّ: كالزرع المحصود.

---

(١) صحيح البخاري (٣١)، وصحيح مسلم (٢٨٨٨)، وسلف ٥/ ٣٣١ .

(٢) ٥/ ٣٣١ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٤ .

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٦٨ .

(٥) في النسخ: بهيم، بدل: صريم، والمثبت من تفسير الطبري ٢٣/ ١٧٤ ، والنكت والعيون ٦/ ٦٨ . الجون: الأسود المشرب حمرة. اللسان (جون).

(٦) تهذيب اللغة ١٢/ ١٨٥ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٦٧ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٦ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ .

فالصريم بمعنى المصروم، أي: المقطوع ما فيه. وقال الحسن: صُرِم عنها الخير، أي: قطع، فالصريم مفعول أيضاً[(١)]. وقال المؤرّج: أي: كالرملة انصرمت من معظم الرمل، يقال: صريمة وصرائم؛ فالرّملة لا تُنبت شيئاً يُنتفع به[(٢)]. وقال الأخفش: أي: كالصبح انصرم من الليل[(٣)]. وقال المبرد[(٤)]: أي: كالنهار؛ فلا شيء فيها.

قال شَمِر: الصَّرِيم: الليل، والصَّرِيم: النهار، أي: ينصرم هذا عن ذاك، وذاك عن هذا[(٥)].

وقيل: سُمّيَ الليل صَرِيماً؛ لأنَّه يقطع بظلمته عن التصرف، ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل[(٦)].

قال القُشَيْرِيّ: وفي هذا نظر؛ لأنَّ النهار يسمَّى صَرِيماً، ولا يقطع عن تصرّف.

قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ أي: يتسارّون، أي: يُخفون كلامهم ويسرُّونه؛ لئلا يَعلم بهم أحد. قاله عطاء وقتادة[(٧)]. وهو من خفَت يَخفِت: إذا سكن[(٨)] ولم يبيّن. كما قال دُرَيد بن الصِّمَّة:

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٨.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٨ دون نسبة.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩.

(٤) في الكامل ١/ ٣٠٥.

(٥) تهذيب اللغة ١٢/ ١٨٥.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٨.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٦٨.

(٨) الصحاح (خفت).

o p e i k a n d i . c o m

وإنّيَ لم أهْلِكْ سُلالاً ولم أمُتْ خُفَاتاً وكُلّاً ظَنَّه بيَ عُوَّدِي[١]

وقيل: يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم[٢]. وكان أبوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصِّرام[٣].

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ أي: على قَصْد وقدرة في أنفسهم ويظنون أنهم تمكنوا من مرادهم. قال معناه ابن عباس وغيره.

والحَرْد: القصدُ. حَرَد يَحْرِد ـ بالكسر ـ حَرْداً: قَصَد. تقول: حَرَدْتُ حَرْدَك، أي: قصدتُ قصدَك. ومنه قول الراجز:

أقبل سَيْلٌ جاء من عند الله يَحْرِدُ حَرْدَ الجنَّة المُغِلَّهْ[٤]

أنشده النحاس:

قد جاء سيلٌ جاء من أمر الله يَحْرِدُ حَرْدَ الجنَّة المُغِلَّهْ

قال المبرِّد: المُغِلّة: ذات الغَلّة. وقال غيره: المُغِلّة: التي يجري الماء في غَلَلها؛ أي: في أصولها. ومنه: تغلّلت بالغالية. ومنه تغلّيت، أبدل من اللام ياء. ومن قال: تَغَلّفْت؛ فمعناه عنده: جعلتها غِلافاً[٥].

وقال قتادة ومجاهد: «عَلَى حَرْدٍ» أي: على جِدّ. الحسن: على حاجة وفاقة[٦].

وقال أبو عبيدة والقُتَيبِيّ: على حَرْد: على منع[٧]؛ من قولهم: حَارَدَتِ الإبلُ

---

(١) ديوان دريد بن الصمة ص٤٥ ، وفيه: لم أهلك خفاتاً.
مات خفاتاً: مات فجأة، السُّلال: السّلّ .
(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٨ .
(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٧ .
(٤) الصحاح (حرد)، وسلف ٦/ ٣٠ .
(٥) من قوله: قال المبرد، إلى هذا الموضع، ليس في (ظ).
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٦ - ١٧٨ .
(٧) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥ ، وتفسير غريب القرآن ص٤٧٩ ، ونقله المصنف عنهما بواسطة تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠ .

جِراداً، أي: قلّت ألبانُها. والحَرُود من النُّوق: القليلة الدَّرّ. وحارَدتِ السَّنَةُ: قلّ مطرها وخيرها[١]. وقال السدّي وسفيان: «عَلَى حَرْدٍ»: على غضب[٢].

والحَرْد: الغضب. قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي: وهو مخفف، وأنشد شعراً:

إذا جيادُ الخيلِ جاءت تَرْدِي مملوءةً من غَضَبٍ وحَرْدِ[٣]

وقال ابن السِّكِّيت: وقد يحرّك، تقول منه: حَرِد ـ بالكسر ـ حَرَداً، فهو حارد وحَرْدان. ومنه قيل: أَسَدٌ حارِدٌ، ولُيُوثٌ حَوارد. وقيل: «عَلَى حَرْدٍ»: على انفراد. يقال: حَرَد يَحْرِد حُرُوداً، أي: تنَحَّى عن قومه ونزل منفرداً ولم يخالطْهم. وقال أبو زيد: رجل حرِيد من قوم حُرَدَاء. وقد حَرَد يَحْرِد حُروداً: إذا ترك قومَه وتحوّل عنهم. وكوكبٌ حَرِيد، أي: معتزلٌ عن الكواكب[٤].

قال الأصمعي: رجل حَرِيد، أي: فريدٌ وحيدٌ. قال: والمُنْحرد: المنفرد في لغة هُذَيل. وأنشد لأبي ذؤيب:

كأنه كوكبٌ في الجوّ مُنْحَرِدُ[٥]

ورواه أبو عمرو بالجيم، وفسّره: منفردٌ. قال: وهو سُهَيْلٌ[٦].

---

(١) الصحاح (حرد).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/٣٣٨ عن الشعبي وسفيان، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/٦٩ عن السدي.

(٣) الرجز لقبيصة بن النصراني كما في شرح ديوان الحماسة ٢/ ٦٢٤ ، وهو في مجمع الأمثال ١/ ١٤٤ دون نسبة. قال المرزوقي: تردي: الرَّدَيان ضرب من المشي، والمعنى إذا جاءت الخيل العِتاق قد حميت ونشطت فامتلأت عضباً، وصار مشيها رَدَياناً.

(٤) الصحاح (حرد).

(٥) عجز بيت صدره: من وَحْشِ حَوْضَى يُراعي الصيد مبتقلا. وهو في ديوان الهذليين ص١٢٦ وروايته: منجرد، بدل: منحرد. والبيت أيضاً في المعاني الكبير ٢/ ٧٦١ .

(٦) الصحاح (حرد).

وقال الأزهريّ[١]: حَرْد اسم قريتهم.

السُّدي: اسم جنتهم، وفيه لغتان: حَرْدٌ وحَرَد[٢]. وقرأ العامة بالإسكان. وقرأ أبو العالية وابن السَّمَيْفَع بالفتح، وهما لغتان[٣]. ومعنى «قَادِرِين»: قد قدّروا أمرهم وبَنَوْا عليه. قاله الفرّاء[٤].

وقال قتادة: قادرين على جنتهم عند أنفسهم. وقال الشعبيّ: «قَادِرِينَ» يعني على المساكين. وقيل: معناه من الوجود، أي: مَنعوا وهم واجدون[٥].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: لما رأوها محترقةً لاشيء فيها قد صارت كالليل الأسود ينظرون إليها كالرماد، أنكروها وشَكُّوا فيها. وقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: ضللنا الطريق إلى جَنَّتِنا. قاله قتادة[٦]. وقيل: أي: إنا لضالُّون عن الصواب في غدوّنا على نية منع المساكين؛ فلذلك عوقبنا. ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حُرِمنا جنتنا بما صنعنا.

روى أسباط عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكُم والمعاصي، إنَّ العبدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ، فيُحْرَم به رزقاً كان هُيِّيءَ له. ثمَّ تلا: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ الآيتين»[٧].

---

(١) في تهذيب اللغة ٤/ ٤١٤ .

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٣) ذكر القراءة بالتحريك ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٠ دون نسبة.

(٤) نقله عنه بنحوه الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٤١٤ .

(٥) زاد المسير ٨/ ٣٣٨ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٩ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٢٥٣ ، وذكره ابن كثير ٨/ ١٩٦ وفي إسناده عمر بن صبح؛ قال ابن حبَّان في المجروحين ٢/ ٨٨: كان ممن يضع الحديث على الثقات. وفي الباب عن ثوبان عند أحمد (٢٢٣٨٦) وإسناده ضعيف.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أمثلُهم وأعدلُهم وأعقلُهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: هلّا تستثنون. وكان استثناؤهم تسبيحاً. قاله مجاهد وغيره(١). وهذا يدلُّ على أنَّ هذا الأوسطَ كان أمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه(٢).

قال أبو صالح: كان استثناؤهم سبحان الله. فقال لهم: هَلّا تسبحون الله، أي: تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم(٣).

قال النّحاس: أصل التسبيح التنزيهُ لله عزَّ وجلّ، فجعل مجاهدٌ التسبيح في موضع إن شاء الله؛ لأنَّ المعنى تنزيهُ الله عزَّ وجلَّ أن يكون شيء إلا بمشيئته(٤).

وقيل: هلّا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خُبْث نيّتكم؛ كان(٥) أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك وذكّرهم انتقامَه من المجرمين(٦).

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ اعترفوا بالمعصية ونزّهوا الله عن أن يكون ظالماً فيما فعل(٧). قال ابن عباس في قولهم: «سُبْحَانَ رَبِّنَا» أي: نستغفر الله من ذنبنا. ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا في منعنا المساكين.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

(٢) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٩٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٩، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٦.

(٥) في (م): فإن.

(٦) في الكشاف ٤/ ١٤٥ والكلام منه: كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين..

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ أي: يلوم هذا هذا في القَسَم ومنعِ المساكين، ويقول: بل أنت أشرتَ علينا بهذا[١]. ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ أي: عاصين بمنع حقِّ الفقراء وترك الاستثناء. وقال ابن كَيْسَان: طَغَيْنا نِعَمَ الله فلم نشكرها كما شكرها آباؤنا من قبل[٢].

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ تعاقدوا وقالوا: إن أبدلنا الله خيراً منها؛ لنصنعنّ كما صنعت آباؤنا، فدَعَوا الله وتضرَّعوا؛ فأبدلَهم الله من ليلتهم ما هو خير منها، وأمر جبريلَ أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزُغَر[٣] من أرض الشام، ويأخذَ من الشام جنة فيجعلها مكانها[٤].

وقال ابن مسعود: إنَّ القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقَهم، فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان، فيها عنب يحمل البغلُ منها عنقوداً واحداً. وقال اليمانيّ أبو خالد: دخلتُ تلك الجنةَ فرأيت كلَّ عنقود منها كالرجل الأسود القائم[٥].

وقال الحسن: قول أهل الجنة: «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ» لا أدري إيماناً كان ذلك منهم، أو على حدّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة؛ فيوقف في كونهم مؤمنين.

وسئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنَّة أم من أهل النَّار؟ فقال: لقد كلَّفْتني تعباً[٦]. والمعظم يقولون: إنهم تابوا وأخلصوا. حكاه القشيريّ.

---

(١) زاد المسير ٨/ ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

(٣) زُغر: قرية بمشارف الشام. اللسان (زغر).

(٤) ليس في هذا الكلام ما يصح.

(٥) مجمع البيان ٢٩/ ٣٠، وأثر ابن مسعود ذكره أيضاً في الكشاف ٤/ ١٤٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٥، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٩.

وقراءة العامة: «يُبْدِلَنا» بالتخفيف. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو بالتشديد، وهما لغتان(١).

وقيل: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعينُ الشيء قائم. والإبدال رفعُ الشيء ووضع آخرَ مكانَه(٢). وقد مضى في سورة النساء القول في هذا(٣).

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: عذابُ الدنيا وهلاكُ الأموال. عن ابن زيد. وقيل: إنَّ هذا وَعْظٌ لأهل مكة بالرجوع إلى الله لما ابتلاهم بالجَدْب لدعاء النبيّ ﷺ(٤)؛ أي: كفِعْلنا بهم نفعل بمن تعدّى حدودنا في الدنيا(٥) ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ وقال ابن عباس: هذا مَثَلٌ لأهل مكةَ حين خرجوا إلى بَدْرٍ وحلفوا ليقتلنَّ محمداً ﷺ وأصحابَه، وليرجعنّ إلى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر، وتضربَ القَيْنات على رؤوسهم؛ فأخلف الله ظنَّهم وأُسِرُوا وقُتلوا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصِّرام فخابوا(٦).

ثم قيل: إنَّ الحقَّ الذي منعه أهلُ الجنة المساكين يحتمل أنه كان واجباً عليهم، ويحتمل أنه كان تطوعاً، والأول أظهر، والله أعلم.

وقيل: السورة مَكّية؛ فَبَعُدَ حملُ الآية على ما أصاب أهلَ مكة من القَحْط، وعلى قتال بَدْر.

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف. السبعة ص ٣٩٧، والتيسير ص ١٤٥ والنشر ٢/ ٣١٤.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٣٩.

(٣) ٦/ ٤٢٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١، والكشاف ٤/ ١٤٣، ودعاء النبي ﷺ على قريش سلف ١٩/ ١٠٧.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٩١ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ تقدم القول فيه، أي: إنَّ للمتقين في الآخرة جناتٍ ليس فيها إلا التنعّم الخالص، لا يشوبُه ما ينغّصُه كما يشوب جناتِ الدنيا(١).

وكان صناديدُ قريش يَرَوْن وفورَ حظِّهم من الدنيا وقلّةَ حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المؤمنين قالوا: إن صَحَّ أنّا نُبْعث كما يزعم محمدٌ ومن معه، لم يكن حالُنا وحالُهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يَفْضُلونا، وأقصى أمرِهم أن يُساوونا. فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كالكفار(٢).

وقال ابن عباس وغيره: قال كفار مكة: إنا نُعطَى في الآخرة خيراً مما تُعْطَوْن؛ فنزلت: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾(٣) ثم وبَّخهم فقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحُكْمَ الأعوج؛ كأنَّ أمر الجزاء مفوّضٌ إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم(٤) أنَّ لكم من الخير ما للمسلمين! ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: ألكم كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصي؟!

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: تختارون وتشتهون(٥). والمعنى: أنَّ لكم ـ بالفتح ـ ولكنه كسر لدخول اللام، تقول: علمت أنك عاقل؛ بالفتح، وعلمت إنَّك لعاقل؛ بالكسر.

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/ ٩١.

(٢) الكشاف ٤/ ١٤٥ - ١٤٦.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩ بدون نسبة.

(٤) الكشاف ٤/ ١٤٦.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩.

فالعامل في «إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ»: «تَدْرُسُونَ» في المعنى، ومنعت اللامُ من فتح «إن»[(١)].

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قوله: «تَدْرُسُونَ»، ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي: إنَّ لكم في هذا الكتاب إذاً ما تخيّرون، أي: ليس لكم ذلك. والكناية في «فيه» الأولى والثانية راجعة إلى الكتاب.

ثم زاد في التوبيخ فقال: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ أي: عهود ومواثيق[(٢)]. ﴿عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ مؤكَّدة. والبالغة المؤكّدة بالله تعالى[(٣)]. أي: أم لكم عهودٌ على الله تعالى استوثقتم بها في أن يدخلَكم الجنة.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ كُسرت «إنَّ» لدخول اللام في الخبر[(٤)]. وهي من صلة «أيمان»، والموضع النصبُ ولكن كسرت لأجل اللام، تقول: حلفت إن لك لكذا.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ إذاً، أي: ليس الأمر كذلك.

وقرأ ابن هُرْمُز: «آئنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تخيّرون»، «آئنَّ[(٥)] لكم لَمَا تحكمون» بالاستفهام فيهما جميعاً[(٥)].

وقرأ الحسن البصري: «بالغةً» بالنصب على الحال[(٦)]؛ إما من الضمير في «لكم» لأنَّه خبر عن «أيمان» ففيه ضمير منه، وإما من الضمير في «علينا» إن قدّرت «علينا»

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف ٤/١٤٦: الأصل: تدرسون أنَّ لكم ما تخيَّرون، بفتح أن؛ لأنه مدروس، فلما جاءت اللام كُسرت.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٧٠.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١.

(٥) المثبت من (خ)، وهو الموافق لما في القراءات الشاذة لابن خالويه ص١٦٠ حيث قيَّدها بالمد.

(٦) القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحتسب ٢/ ٣٢٥.

وصفاً للأيمان لا متعلقاً بنفس الأيمان؛ لأنَّ فيه ضميراً منه، كما يكون إذا كان خبراً عنه. ويجوز أن يكون حالاً من «أيمان» وإن كانت نكرة، كما أجازوا نصب «حَقّاً» على الحال من «متاع» في قوله تعالى: ﴿مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[١] [البقرة: ٢٤١].

وقرأ العامة: «بالغةٌ» بالرفع نعت لـ «أيمان»[٢].

قوله تعالى: ﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ۝٤١﴾

قوله تعالى: ﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: سلْ يا محمد هؤلاء المتقوّلين عليَّ: أيُّهم كفيلٌ بما تقدم ذكرُه، [وهو أنَّ لهم في الآخرة من الخير][٣] ما للمسلمين؟ والزعيم: الكفِيل والضّمين. قاله ابن عباس وقتادة[٤]. وقال ابن كيسان: الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى. وقال الحسن: الزعيم الرسول[٥].

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾ أي: ألهم، والميم صلة. «شُرَكَاء» أي: شهداء. ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ﴾ يشهدون على ما زعموا. ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواهم. وقيل: أي: فليأتوا بشركائهم إن أمكنهم؛ فهو أمر معناه التعجيز.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ يجوز أن يكون العامل في ﴿يَوۡمَ﴾: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ﴾

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١.

(٣) ما بين معكوفين زيادة يقتضيها السياق، وينظر زاد المسير ٨/ ٣٤٠.

(٤) زاد المسير ٨/ ٣٤٠، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٨٦، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٠.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٠.

أي: فليأتوا بشركائهم يومَ يُكشف عن ساق، ليشفع الشركاءُ لهم. ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل، أي: اذكر يوم يكشف عن ساق؛ فيوقف على «صَادِقِينَ». ولا يوقف عليه على التقدير الأول.

وقرىء: «يوم نكشف» بالنون[١]. «وقرأ» ابن عباس: «يوم تَكْشِف عن ساق»[٢] بتاء مسمَّى الفاعل، أي: تكشف الشدةُ أو القيامةُ عن ساقها، كقولهم: شَمّرت الحربُ عن ساقها. قال الشاعر:

فتى الحرب إن عضّتْ به الحربُ عَضَّها ... وإن شَمّرتْ عن ساقها الحربُ شَمّرا[٣]

وقال الراجز:

قد كشفتْ عن ساقها فشُدُّوا ... وجَدّت الحربُ بكم فَجِدُّوا[٤]

وقال آخر:

عجبتُ من نفسي ومن إشفاقها ... ومن طِرَاد الطيرِ عن أرزاقها
في سَنةٍ قد كَشَفَتْ عن ساقها ... حمراءَ تَبْري اللحمَ عن عُرَاقها[٥]

وقال آخر:

كشفتْ لهم عن ساقِها ... وبدا من الشَّرِّ الصُّرَاح[٦]

---

(١) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٠ لابن عباس.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٢٦، وأخرجها الفراء في معاني القرآن له ٢/ ١٧٧.

(٣) البيت لحاتم الطائي كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٢٤٧، وهو في ديوانه ص٤٩ وروايتهما (أخو) بدل (فتى) ونسبه صاحب الحماسة البصرية ١/ ٧٨ لزيد الخيل، وهو في ديوانه ص٦١. ونسبه صاحب العقد الفريد ٥/ ٢٤٥ لحذيفة بن أنس.

(٤) الرجز في الكامل ٢/ ٤٩٤ دون نسبة.

(٥) الرجز لأعرابي كان يطرد الطير عن زرع في سنة جدْب كما في غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٦٦-٦٧. وروايته (مِطْرادي) بدل (طراد)، قال ابن قتيبة العُرَاق: العظم.

(٦) البيت لسعد بن مالك كما في شرح ديوان الحماسة ٢/ ٥٠٢.

وعن ابن عباس أيضاً والحسن وأبي العالية: «تُكْشَفُ» بتاء غير مسمّى الفاعل[١]. وهذه القراءة راجعةٌ إلى معنى «يُكْشَف»، وكأنه قال: يوم تَكْشف القيامةُ عن شدَّة.

وقرئ: «يَوْمَ تُكْشِف» بالتاء المضمومة وكَسْر الشين؛ من أكشف: إذا دخل في الكشف، ومنه: أكشف الرجل فهو مُكشف[٢]: إذا انقلبت شَفَتُه العليا[٣].

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا أسامةُ بن زيد، عن عكرمةَ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن كرب وشدّة. أخبرنا ابن جُريج عن مجاهد قال: شدّة الأمر وجِدّه. وقال مجاهد: قال ابن عباس: هي أشدُّ ساعةٍ في يوم القيامة[٤]. وقال أبو عبيدة[٥]: إذا اشتد الحربُ والأمرُ قيل: كشف الأمرُ عن ساقه

والأصل فيه أنَّ من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجِدّ شَمّر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة[٦].

وقيل: ساقُ الشيء: أصلُه الذي به قِوامه، كساق الشجرة وساق الإنسان، أي: يومَ يُكشف عن أصل الأمر، فتظهر حقائقُ الأمور وأصلُها. وقيل: يُكشف عن ساق جهنم. وقيل: عن ساق العرش[٧]. وقيل: يريد وقتَ اقتراب الأجل وضعف البدن؛ أي: يَكشِفُ المريضُ عن ساقه ليُبْصِرَ ضعفَه، ويدعوه المؤذن إلى الصلاة فلا يمكنه أن يقوم ويخرج[٨].

فأما ما رُوِي أنَّ الله يكشف عن ساقه؛ فإنَّه عز وجل يتعالى عن الأعضاء

(١) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٢٦ دون نسبة.

(٢) في (د) مكشوف، وفي (ظ) منكشف.

(٣) الكشاف ٤/ ١٤٧ .

(٤) الزهد (٣٦١ - ٣٦٢) زوائد نعيم.

(٥) في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦ .

(٦) تأويل مشكل القرآن ص١٠٣ .

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٥ .

(٨) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٥ بنحوه.

obeikandi.com

والتبعيض وأن يكشف ويتغطى. ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره. وقيل: يكشف عن نوره عزَّ وجلَّ[١].

وروى أبو موسى عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَن سَاقٍ﴾ قال: «يُكشفُ عن نورٍ عظيم يخرُّون له سجداً»[٢].

وقال أبو الليث السَّمَرْقَنْدِيّ في تفسيره[٣]: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا ابنُ مَنِيع قال: حدّثنا هُدْبة قال: حدّثنا حمَّاد بنُ سَلَمة، عن علي[٤] بنِ زيد، عن عمارةَ القرشي، عن أبي بُردة بن[٥] أبي موسى، قال: حدّثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يومُ القيامة، مُثِّلَ لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا، فيذهب كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون، ويبقى أهلُ التوحيد فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: إنَّ لنا ربًّا كنا نعبده في الدنيا ولم نره. قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنَّه لا شبيه له. فيُكشفُ لهم الحجابُ، فينظرون إلى الله تعالى، فيخرُّون له سُجَّداً، وتبقى أقوامٌ ظهورُهم مثل صَيَاصِي[٦] البقر، فينظرون إلى الله تعالى، فيريدون السجود فلا يستطيعون، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ فيقول الله تعالى: «عبادي ارفعوا رؤوسَكم؛ فقد جعلت بدلَ كلِّ رجلٍ منكم رجلاً من

---

(١) ما ثبت وصح من نصوص الصفات الخبرية لله عز وجل يجب إثباتها له تعالى بلا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧٢٨٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٥٢) عن روح بن جناح، عن مولى عمر بن عبد العزيز، عن أبي بردة، عن أبي موسى مرفوعاً. قال البيهقي: تفرد به روح بن جناح، وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها والله أعلم، وموالي عمر بن عبد العزيز فيهم كثرة.

(٣) ٣/ ٣٩٥.

(٤) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: عدي، وهو خطأ.

(٥) في النسخ: عن، وهو خطأ.

(٦) صياصي البقر: قرونها. النهاية (صيص).

اليهود والنصارى في النار». قال أبو بردة: فحدثت بهذا الحديث عمرَ بن عبد العزيز فقال: آللهِ الذي لا إله إلا هو، لقد حَدَّثك أبوك بهذا الحديث؟ فحلف له ثلاثةَ أيمان؛ فقال عمر: ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحبُّ إليَّ من هذا(١).

وقال قيس بن السَّكَن(٢): حَدّث عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب فقال: إذا كان يوم القيامة، قام الناس لربِّ العالمين أربعين عاماً شاخصةً أبصارُهم إلى السماء، حُفاةً عُراةً يُلْجمهم العرق، فلا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم أربعين عاماً، ثم ينادي منادٍ: أيها الناس، أليس عدلاً من ربكم الذي خلقكم وصوّركم وأماتكم وأحياكم ثمَّ عبدتم غيره أن يُوَلِّيَ كلَّ قوم ما تولَّوْا؟ قالوا: نعم. قال: فيرفع لكلِّ قوم ما كانوا يعبدون من دون الله، فيتبعونها حتى تقذفَهم في النار، فيبقى المسلمون والمنافقون فيقال لهم: ألا تذهبون قد ذهب الناس؟ فيقولون: حتى يأتينا ربُّنا، فيقال لهم: أوَ تعرفونه؟ فيقولون: إن اعترف لنا عَرَفناه. قال: فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلّى لهم فيخرّ من كان يعبده مخلصاً ساجداً، ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأنّ في ظهورهم السفافيد(٣)، فيُذْهَب بهم إلى النار، ويدخل هؤلاء الجنة؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(٤).

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلةً متواضعةً، ونصبُها على الحال. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسَهم ووجوهُهم أشدُّ بياضاً من الثلج. وتسودّ وجوه المنافقين والكافرين(٥) حتى ترجع أشدَّ سواداً من القار.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٥، والوسيط ٤/ ٣٤٠ - ٣٤١، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٣/ ٣٣٤، وعلي بن زيد ـ وهو ابن جُدعان ـ وعُمارة القرشي: ضعيفان. ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٧ و١٧٨.

(٢) هو الأسدي الكوفي، أخو بني سُواءة، قال يحيى بن معين: ثقة، قال أبو حاتم: توفي زمن مصعب بن الزبير. تهذيب الكمال ٦/ ١٣٨.

(٣) السفافيد: ـ جمع السَّفُّود ـ الحديدة التي يُشوى بها اللحم. الصحاح (سفد).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٩٠ - ١٩١.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٣.

قلت: معنى حديث أبي موسى وابن مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدريّ وغيره[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ أي: في الدنيا[٢]. ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ مُعَافَوْن أصحّاء. قال إبراهيم التَّيْميّ: أي: يُدعون بالأذان والإقامة فيأبَوْنه. وقال سعيد بن جُبَير: كانوا يسمعون: حيَّ على الفلاح، فلا يجيبون. وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآيةُ إلا في الذين يتخلّفون عن الجماعات[٣]. وقيل: أي: بالتكليف المُوَجَّه عليهم في الشرع، والمعنى متقارب. وقد مضى في سورة البقرة الكلام في وجوب صلاة الجماعة[٤].

وكان الربيع بن خَيْثم قد فُلِجَ، وكان يُهَادَى[٥] بين الرجلين إلى المسجد؛ فقيل: يا أبا يزيد، لو صلّيتَ في بيتك لكانت لك رخصة. فقال: من سمع حيّ على الفلاح؛ فلْيُجِبْ ولو حبْواً. وقيل لسعيد بن المسيّب: إنَّ طارقاً يريد قتلك فتغيّب. فقال: أبحيث لا يَقْدِر الله عليّ؟ فقيل له: اجلس في بيتك. فقال: أسمع حيّ على الفلاح، فلا أجيب[٦]!

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي﴾ أي: دَعْنِي. ﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾ «مَنْ» مفعول معه أو معطوف

---

(١) صحيح مسلم (١٨٣) (٣٠٢)، وهو في صحيح البخاري (٤٥٨١)، ومسند أحمد (١١١٢٧) مطولاً عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٥ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٣ .

(٤) ٢/ ٣٠ فما بعدها.

(٥) يهادى بين الرجلين: أي: يمشي بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله. النهاية (هدا).

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣ .

على ضمير المتكلم[١]. ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآنَ. قاله السدّيّ. وقيل: يوم القيامة[٢]. وهذا تسليةٌ للنبيّ ﷺ، أي: فأنا أجازيهم وأنتقم منهم.

ثم قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه: سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون، فعُذِّبوا يوم بَدْر[٣].

وقال سفيان الثَّوْريّ: نُسبغ عليهم النعمَ ونُنسيهم الشكرَ. وقال الحسن: كم مستدرَجٍ بالإحسان إليه، وكم مفتونٍ بالثناء عليه، وكم مغرورٍ بالسّتر عليه[٤].

وقال أبو رَوْق: أي: كلّما أحدثوا خطيئةً جدّدنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار[٥].

وقال ابن عباس: سنمكر بهم[٦]. وقيل: هو أن نأخذَهم قليلاً ولا نباغتهم[٧].

وفي حديث: «أنَّ رجلاً من بني إسرائيل قال: يا ربّ، كم أعصيك وأنت لا تعاقبني قال: فأوحى الله إلى نبيّ زمانِهم أن قل له: كم من عقوبة لي عليك وأنت لا تشعر؛ إنَّ جمود عينيك وقَسَاوَةَ قلبك استدراجٌ منّي وعقوبةٌ لو عقَلْت»[٨].

والاستدراج: ترك المعاجلة. وأصله: النقلُ من حالٍ إلى حالٍ كالتدرّج. ومنه قيل: درجة؛ وهي منزلة بعد منزلة[٩]. واستدرج فلان فلاناً، أي: استخرج ما عنده قليلاً. ويقال: درّجه إلى كذا واستدرجه بمعنىً: أدناه منه على التدريج، فتدرّج هو.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٧٢.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣.

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٦.

(٦) نسبه البغوي في تفسيره ٢/ ٢١٨ لعطاء في تفسير الآية (١٨٢) من سورة الأعراف.

(٧) تهذيب اللغة ١٠/ ٦٤٢.

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٦٨ عن عبد الله بن خبيق بنحوه.

(٩) النكت والعيون ٦/ ٧٢.

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ أي: أمهلُهم وأطيلُ لهم المدّة[(١)]. والملاوة: المُدة من الدهر. وأملى الله له، أي: أطال له. والملَوان: الليل والنهار. وقيل: «وأُمْلِي لَهُمْ» أي: لا أعاجلهم بالموت[(٢)]؛ والمعنى واحد. وقد مضى في «الأعراف» بيان هذا[(٣)].

﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ أي: إنَّ عذابي لقويّ شديد، فلا يفوتني أحد[(٤)].

قوله تعالى: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٦﴾

عاد الكلام إلى ما تقدّم من قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ». أي: أم تلتمس منهم ثواباً على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله؟ فهم من غرامةِ ذلك مُثْقَلون لِما يشقّ عليهم من بذل المال، أي: ليس عليهم كُلْفة، بل يستولون بمتابعتك على خزائن الأرض ويَصِلون إلى جنات النعيم.

قوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ أي: علمُ ما غاب عنهم ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ وقيل: أينزل عليهم الوَحْيُ بهذا الذي يقولون. وعن ابن عباس: الغيب هنا اللوحُ المحفوظ، فهم يكتبون مما فيه يخاصمونك به، ويكتبون أنَّهم أفضلُ منكم، وأنَّهم لا يعاقبون! وقيل: «يَكْتُبُونَ»: يحكمون لأنفسهم بما يريدون!

قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ أي: لقضاء ربّك[(٥)]. والحُكم هنا القضاء. وقيل: فاصبر على ما حَكَم به عليك ربُّك من تبليغ الرسالة[(٦)]. وقال ابن بحر: فاصبرْ لنصر

---

(١) تفسير البغوي ٢/ ٢١٨ في تفسير الآية (١٨٣) من سورة الأعراف.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٧.

(٣) ٩/ ٣٩٨.

(٤) بعدها في (ظ) زيادة: ممن عصاني والله هو الحليم.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٣.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٨.

ربك[١]. قال قتادة: أي: لا تعجلْ ولا تغاضبْ؛ فلا بدّ من نصرك[٢]. وقيل إنَّه منسوخ بآية السيف[٣]. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يعني يونسَ عليه السلام. أي: لا تكنْ مثلَه في الغضب والضَّجَر والعَجَلة[٤].

وقال قتادة: إنَّ الله تعالى يُعَزِّي نبيَّه ﷺ ويأمره بالصبر، ولا يعجَل كما عَجِل صاحبُ الحُوت[٥]. وقد مضى خبرُه في سورة يونس، والأنبياء، والصافات[٦]، والفرقُ بين إضافة ذي وصاحب في سورة يونس والأنبياء[٧]، فلا معنى للإعادة.

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: حين دعا في بطن الحوت فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]. ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي: مملوء غَمّاً. وقيل: كرباً. الأوّل قول ابنِ عباس ومجاهد. والثاني قول عطاء وأبي مالك. قال الماورديّ[٨]: والفرق بينهما أنَّ الغمَّ في القلب، والكربَ في الأنفاس. وقيل: مكظوم محبوس. والكَظْم الحبس، ومنه قولُهم: فلان كَظَم غيظَه، أي: حبس غضبه. قاله ابن بحر.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٧٣ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٠٠ .

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي ص٥٣ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٣ .

(٦) ١١/ ٥٤ - ٥٥ ، ١٤/ ٢٦٦ فما بعدها، ١٨/ ٨٧ .

(٧) لفظة «والأنبياء» من (ظ)، وينظر ما سلف من سورة الأنبياء ١٤/ ٢٦٦ عند قول المصنف: وذا النون وهو لقب يونس بن متّى، و١٤/ ٢٦٧ عند قول المصنف: ولم يحمل أثقال النبوة ولهذا قيل للنبي ﷺ ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾.

قال في التعريف والإعلام ص١١٣ - ١١٤ : بين اللفظتين تفاوت كثير في حسن الإشارة إلى الحالتين وتنزيل الكلام في الموضعين، فإنه حين ذكره في موضع الثناء عليه قال: ذا النون، ولم يقل: صاحب، والإضافة بذو أشرف من الإضافة بصاحب لأن قولك: ذو يضاف إلى التابع، وصاحب يضاف إلى المتبوع.

(٨) في النكت والعيون ٦/ ٧٣ وما قبله منه.

وقيل: إنَّه المأخوذُ بكظمه، وهو مجرى النفس. قاله المبرّد. وقد مضى هذا وغيرُه في «يوسف»[١].

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قراءة العامة: «تَدَارَكَهُ». وقرأ ابن هُرْمُز والحسن: «تَدَّاركه» بتشديد الدال[٢]؛ وهو مضارع أُدغمتِ التاءُ منه في الدال. وهو على تقدير حكاية الحال، كأنه قال: لولا أن كان يقال فيه تتداركه نعمة. ابن عباس وابن مسعود: «تداركته» وهو خلاف المرسوم[٣].

و«تَدَارَكَهُ» فعلٌ ماضٍ مذكّر حُمل على معنى النعمة؛ لأنَّ تأنيثَ النعمة غيرُ حقيقي. و«تداركته» على لفظها[٤].

واختلِف في معنى النعمة هنا؛ فقيل النُّبوة. قاله الضحاك. وقيل: عبادته التي سلفت. قاله ابن جُبير. وقيل: نداؤه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]. قاله ابن زيد. وقيل: نعمة الله عليه إخراجُه من بطن الحوت. قاله ابن بحر[٥]. وقيل: أي: رحمَة من ربه، فَرَحِمه وتاب عليه[٦].

﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي: لَنُبِذ مذموماً ولكنه نُبذ سقيماً غير مذموم[٧]. ومعنى

---

(١) ١١/ ٤٣٢ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤ ، وقراءة ابن هرمز ـ وهو الأعرج ـ والحسن في القراءات الشاذة ص١٦٠ ، والمحتسب ٢/ ٣٢٦ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤ بنحوه، وقراءة ابن عباس وابن مسعود ﷺ في القراءات الشاذة ص١٦٠ ووقع في مطبوعه «تداركنه» وهو خطأ.

(٤) البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٥٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٣ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ ، وزاد المسير ٨/ ٣٤٣ .

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٦ .

«مَذْمُومٌ» في قول ابن عباس: مُلِيم[١]. قال بكر بن عبد الله: مذنب[٢]. وقيل: «مذموم»: مُبْعَدٌ من كلّ خير.

والعَرَاء: الأرض الواسعة الفضاء التي ليس فيها جبلٌ ولا شجرٌ يستُر[٣]. وقيل: لولا فضل الله عليه، لبقيَ في بطن الحوت إلى يوم القيامة، ثُمَّ نُبذ بعراء القيامة مذموماً. يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٤] [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اصطفاه واختاره[٥]. ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال ابن عباس: ردّ الله إليه الوَحْي، وشفّعه في نفسه وفي قومه[٦]، وقبِل توبتَه، وجعله من الصالحين؛ بأن أرسله إلى مئة ألف أو يزيدون.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ «إنْ» هي المخففة من الثقيلة[٧]. ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أي: يعتانونك. ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أخبر بشدّة عداوتهم النبيَّ ﷺ، وأرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قومٌ من قريش وقالوا: ما رأينا مثلَه ولا مثلَ حُجَجِه. وقيل: كانت العينُ في بني أسد، حتى إنَّ البقرةَ السمينةَ أو الناقةَ السمينةَ تمرُّ بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية، خذي المِكْتَلَ[٨] والدرهمَ فأْتينا بلحم هذه الناقة، فما تبرحُ حتى تقعَ للموت فتُنْحر.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٠١.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٧٤.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، والوجيز للواحدي ـ على هامش مراح لبيد ـ ٢/ ٣٩٦ بنحوه..
(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٩.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤.
(٦) الكشاف ٤/ ١٤٨.
(٧) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٢.
(٨) المِكْتَل: هو الزبيل ـ الوعاء ـ الذي يحمل فيه التمر أو العنب. اللسان (زبل)، (كتل).

وقال الكلبي: كان رجلٌ من العرب يمكث لا يأكل شيئاً يومين أو ثلاثة، ثمَّ يرفع جانبَ الخِباء، فتمرّ به الإبلُ أو الغنمُ فيقول: لم أرَ كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه! فما تذهب إلا قليلاً حتى تسقطَ منها طائفةٌ هالكةً. فسأل الكفار هذا الرجلَ أن يصيبَ لهم النبيَّ ﷺ بالعين فأجابهم[١] فلما مرّ النبيُّ ﷺ أنشد:

قد كان قومُك يحسبونك سيّداً وإخالُ أنّك سيّدٌ مَعْيُونُ[٢]

فعصَم الله نبيَّه ﷺ، ونزلت: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾[٣].

وذكر نحوه الماوردي[٤]، وأنَّ العربَ كانت إذا أراد أحدُهم أن يصيب أحداً بعين[٥] في نفسه وماله، تجوّع ثلاثة أيام، ثم يتعرَّض لنفسه وماله فيقول: تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجعَ ولا أكثرَ [مالاً] منه ولا أحسن، فيصيبه بعينه فيهلك هو ومالُه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال القُشَيْري: وفي هذا نظر؛ لأنَّ الإصابةَ بالعين إنَّما تكون مع الاستحسان والإعجاب، لا مع الكراهية والبغض، ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: ينسِبونَك إلى الجنون إذا رأوك تقرأ القرآن[٦].

قلت: أقوال المفسرين واللغَوِيّين تدلّ على ما ذكرنا، وأنَّ مرادَهم بالنظر إليه قَتْلُه. ولا يمنع كراهةُ الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود والأعمش وأبو وائل ومجاهد: «ليزهقونك»[٧] أي:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤، وأسباب النزول للواحدي ص٤٧١ - ٤٧٢.

(٢) البيت لعباس بن مرداس كما في الحيوان للجاحظ ٢/ ١٤٢، والحماسة البصرية ١/ ١٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤، وأسباب النزول للواحدي ص٤٧٢.

(٤) في النكت والعيون ٦/ ٧٤ وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) في النسخ عدا (ظ) يعني، والمثبت موافق لما في النكت والعيون والكلام منه.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٥.

(٧) هي عن ابن عباس وابن مسعود في القراءات الشاذة ص١٦٠.

ليهلكونك. وهذه قراءة على التفسير؛ من زَهَقَتْ نفسه وأَزْهقَها.

وقرأ أهل المدينة: «لَيَزْلِقُونَكَ» بفتح الياء. وضمها الباقون(١)، وهما لغتان بمعنىً، يقال: زَلَقه يَزْلِقه وأزلقه يُزلقه إزلاقاً: إذا نَحّاه وأبعده(٢).

وزَلَق رأسه يَزْلِقه زلقاً: إذا حلقه، وكذلك أزْلَقه وزَلَّقه تزليقاً، ورجل زَلِق وزُمَلِق ـ مثال هُدَبِد(٣) ـ وزَمالق وزُمّلِق ـ بتشديد الميم ـ وهو الذي يُنزِل قبل أن يجامع. حكاه الجوهري(٤) وغيره. فمعنى الكلمة إذاً التنحية والإزالة، وذلك لا يكون في حقِّ النبيِّ ﷺ إلا بهلاكه وموته. قال الهَرَوِيّ: أراد لَيعتانونك بعيونهم، فيزيلونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه؛ عداوةً لك.

وقال ابن عباس: ينفذونك بأبصارهم، يقال: زَلَق السهمُ وزَهَق: إذا نفذ(٥). وهو قول مجاهد. أي: يَنْفذونك من شدّة نظرهم(٦). وقال الكلبي: يَصْرَعونك(٧). وعنه أيضاً والسُّدِّي وسعيد بن جُبَير: يصرفونك عمّا أنت عليه من تبليغ الرسالة(٨). وقال العَوْفيّ: يَرْمُونك. وقال المُؤَرِّج: يُزيلونك. وقال النَّضْر بن شُميل والأخفش: يفتنونك.

وقال عبد العزيز بن يحيى: ينظرون إليك نظراً شزراً بتحديق شديد(٩). وقال ابن

---

(١) السبعة ص٦٤٧ ، والتيسير ص٢١٣ ، والنشر ٢/ ٣٨٩.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ .

(٣) رجل هُدَبِد: ضعيف البصر، وبعينه هُدَبِد؛ أي: عمش. لسان (هدبد).

(٤) في الصحاح (زلق).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٧٤ ، وأخرجه الطبري عنهما في تفسيره ٢٣/ ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٧٤ ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣١١ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ دون نسبة.

(٩) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ١٠٠ دون نسبة، ونظر إليه شزراً: هو نظر الغضبان بمؤخر العين. الصحاح (شزر).

زيد: لَيَمَسُّونك[١]. وقال جعفر الصادق: ليأكلونك. وقال الحسن وابن كَيْسان: ليقتلونك. وهذا كما يقال: صرعني بطرفه، وقتلني بعينه. قال الشاعر:

ترميك مَزْلَقَةُ العيون بطَرْفها وتَكِلُّ عنك نصالُ نَبْلِ الرامي[٢]

وقال آخر:

يتقارضون إذا التقَوْا في مجلسٍ نَظَراً يُزيلُ[٣] مواطئ الأقدام

وقيل: المعنى أنهم ينظرون إليك بالعداوة حتى كادوا يسقطونك[٤]. وهذا كلُّه راجع إلى ما ذكرنا، وأن المعنى الجامع: يصيبونك بالعين. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

أي: وما القرآن إلا ذِكْرٌ للعالَمين. وقيل: أي: وما محمدٌ إلا ذِكْرٌ للعالَمين يتذكّرون به. وقيل: معناه شَرَفٌ، أي: القرآن. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٥] [الزخرف: ٤٤] والنبيّ ﷺ شرف للعالمين أيضاً. شَرُفوا باتباعه والإيمان به ﷺ.

---

(١) نسبه في النكت والعيون ٦/ ٧٤ للسدي.

(٢) لم نقف عليه، وتكلّ عنك: إذا تباعدت. اللسان (لحح).

(٣) المثبت من (د)، وفي غيرها: يزلُّ، والبيت في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، وهو في المعاني الكبير ٢/ ٨٤٥، والكشاف ٤/ ١٤٨، وفيهما: موطن، بدل: مجلس. وذكر عجزه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٤٢.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص١٢٩ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٤ .